

كلية: العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم: التاريخ

رقم:

العنوان

المدينة و الريف في الجزائر خلال العهد العثماني 1519- 1836
(إقليم مدينة قسنطينة أنموذجا)

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر أكاديمي في التاريخ تخصص : تاريخ الجزائر الحديث 1519-1830

إشراف :

أ.د/ بيرم كمال

إعداد الطالبين :

❖ بن عمران يوسف

❖ زيان العمري

الصفة	المؤسسة الجامعية	إسم ولقب الأستاذ
رئيسا	جامعة المسيلة	أ.د/ حميدي أبو بكر الصديق
مشرفا	جامعة المسيلة	أ.د/ بيرم كمال
ممتحنا	جامعة المسيلة	د/ بن أزواو فتح الدين

السنة الجامعية : 2019-2020



سُبْحَانَ اللَّهِ
عَبْدُ اللَّهِ
مُحَمَّدٌ



شكر و عرفان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال تعالى : « رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ » صدق الله العظيم

الحمد لله الذي أنار لنا درب الحياة للعلم و المعرفة ، و أعاننا على أداء هذا الواجب ووقفنا في إنجاز هذا العمل .

و نتقدم بجزيل الشكر و العرفان للأستاذ المشرف (أ.د/ بيرم كمال) و الذي لم ييخل علينا بالمعلومات اللازمة لإنجاز موضوعنا ، و الأستاذة (معوشي أمال) و التي كانت لنا خير سند في إمدادنا بالمصادر المتعلقة ببحثنا .

كما لا ننسى شكر الزميلتين " سلمي جهاد و جليد رشيدة " و اللتان ساعدتنا في إكمال هذه المذكرة خاصة من الناحية المنهجية . و الزميلين " سامي رازقة و منصورى راضية " وذلك لمساعدتنا في عملية البحث و التحرير .

و في الأخير لا يفوتنا أن نتقدم بخالص الشكر لكل من ساعدنا من قريب أو بعيد و لو بالكلمة الطيبة في إنجاز هذه المذكرة المتواضعة .

إهداء

إلى صاحب السيرة العطرة و الفكر المستنير .. الذي كان له الفضل الأول في بلوغي
التعليم العالي .. و سندي في الحياة .. والدي الحبيب أطل الله في عمره ...

إلى من وضعتني على طريق الحياة .. و جعلتني ربط الجأش .. و رعتني حتى صرت
كبيرا .. إلى من وضع المولى سبحانه و تعالى الجنة تحت قدميها و قرها في كتابه
العزير .. أمي الغالية ...

إلى الذين ظفرت بهم هدية من الأقدار إخوة ، فعرفوا معنى الأخوة .. إخوتي الأحباء
على قلبي " زينو ، هاني ، إسحاق " و كل العائلة الكريمة

إلى كل أصدقائي منتسبي الحركة الكشفية ، و أخص بالذكر " الصالح بن عمراني -
زياني سلمان - بونوة سامي " و الذين قدموا لي الكثير من الدعم النفسي.

إلى كل هؤلاء أهدي ثمرة جهدي سائلا المولى عزوجل أن تكون نافعة.

يوسف بن عمراني

إهداء

إلى قدوتي في الحياة .. إلى الضوء الذي ينير دربي بين العتمات .. إلى من علمني أن
أصمد أمام العقبات .. إلى من أعطاني و لم يزل يعطي بلا حدود إلى من أفقر وجوده
في هذا الكون إلى من أرفع رأسي به و أفديه بروحي أبي الكريم

إلى من جعل الله الجنة تحت أقدامها .. إلى من أعطتني الأمل في هذه الدنيا .. إلى
سندي في الحياة .. إلى من عبت لي طريق النجاح بدعواتها و إبتساماتها ، بارك الله في
عمرها و أمدّها بالصحة و العافي .. إلى أُمي الكريمة

إلى إخوتي الأعمام .. الأخوين " مصطفى و المختار " إلى أخواتي الكريمات .. إلى
أغلى الأحباب و الأصحاب .. ألى من حملتهم ذاكرتي و من لم تسعهم مذكرتي ، إلى كل
زملاء الدراسة أعانهم الله ووفقهم و سدد خطاهم ...

إلى كل هؤلاء أهدي ثمرة جهدي و عملي المتواضع

زيان العمري

المقدمة

المقدمة

لطالما توالى الأحداث على منطقة المغرب الأوسط (الجزائر حاليا) منذ القدم ، و لعل الفترة العثمانية أحد هذه المحطات الهامة ، كيف لا و قد إستمر التواجد العثماني في هذه المنطقة طيلة 3 قرون ، مؤثرا بذلك على جميع جوانب الحياة العامة بالجزائر ، و لقد برز هذا التأثير على كل من المدن و الأرياف في مختلف ميادين الحياة ، و في كل منطقة وصل إليها النفوذ التركي في تلك الفترة ، و من بين هذه المناطق إقليم مدينة قسنطينة ، هذه الحاضرة الكبيرة ، التي تمتد أصولها إلى عمق التاريخ ، و التي تزدهر بجميع مجالاتها ، الاقتصادية و السياسية ، الثقافية و الاجتماعية ، مقارنة بنظيراتها في تلك المنطقة .

و من هذا المنطلق إختارنا أن يكون موضوع دراستنا المدينة و الريف في الجزائر خلال العهد العثماني ، متخذين إقليم مدينة قسنطينة كنموذج للدراسة ، و محاولين بذلك إبراز الحياة العامة في مدينة قسنطينة و إقليمها بمختلف مجالاتها و فتراتهما التاريخية ، و إقامة علاقة بسيطة بينهما لإظهار جوانب الاتفاق و الإختلاف بينهما ، و هذا لتحليل السياسة العثمانية في الجزائر، بالإضافة إلى محاولة إكتشاف سر بروز هذا الإقليم على غيره من الأقاليم المعاصرة له.

أسباب إختيار الموضوع :

الأسباب ذاتية :

ميولنا الشخصي لدراسة هذا الإقليم خلال الفترة الحديثة من تاريخ الجزائر و فك الغموض عليها ، بالإضافة إلى رغبتنا الملحة في معرفة الفرق بين الريف و المدينة في الحياة العامة ، و محاولتنا التعرف على المجتمع القسنطيني و التأثيرات التي طرأت عليه خلال التواجد العثماني ، و محاولتنا أيضا لتحليل السياسة العثمانية بهذا الإقليم.

الأسباب موضوعية :

تسليط الضوء على خصوصية إقليم قسنطينة و أهم مميزاته ، كون معظم الدراسات في هذه الفترة تتناول إقليم دار السلطان فقط .

إبراز الدور الهام الذي لعبه هذا الإقليم في جميع المجالات ، و الإسهامات التي قدمها للإيالة ككل .

تبيان العلاقة التكاملية بين مدينة قسنطينة و ريفها خلال العهد العثماني عبر تتبعنا لأهم التطورات في مختلف المجالات .

و الهدف من هذه الدراسة يكمن في أهمية هذا الإقليم بالجزائر خلال الفترة المدروسة ، و محاولة تحليل معظم التغيرات التي طرأت عليه جراء تأثره بالسياسة العثمانية . و دراسة التفاعل الداخلي و الخارجي للمدينة و الريف .

إشكالية البحث :

و من خلال ما سبق يمكننا صياغة إشكالية موضوعنا كآتي :

كيف كانت الحياة العامة بإقليم مدينة قسنطينة خلال العهد العثماني ؟ و ماهي العلاقة التي جمعت بين مدينة قسنطينة و ريفها ؟ و من خلال هذا التساؤل نتفرع لنا تساؤلات أخرى حول هذا الموضوع أهمها :

ماهي العوامل التي أثرت على الحياة العامة في مدينة قسنطينة وأريافها؟

كيف كانت مساهمة العثمانيون في تطوير مختلف المجالات بالمدينة مثل الجانب الاجتماعي و الإقتصادي ؟

هل كانت هناك علاقة تكاملية بين الريف و المدينة في إقليم قسنطينة ؟

و هل علاقة السلطة مع الريف هي نفس العلاقة مع المدينة ؟

كيف كان المستوى الحضاري لإقليم قسنطينة خلال هذه الفترة ؟

خطة البحث :

و للإجابة على كل هذه التساؤلات قمنا برسم خطة تعالج موضوع دراستنا ، تحتوي في مجملها على مقدمة و ثلاثة فصول و خاتمة ، فالفصل الأول هو عبارة عن مدخل و تمهيد لموضوعنا جاء تحت عنوان لمحة عامة عن إقليم مدينة قسنطينة ، إحتوى على بعض

المفاهيم و التعريفات ، كما تحدث أيضا على الإطار الجغرافي و التاريخي للمنطقة قبيل و أثناء التواجد العثماني في المنطقة .

أما الفصل الثاني فقد حمل عنوان مدينة قسنطينة خلال العهد العثماني ، و الذي إحتوى بدوره على أربعة مباحث مختلفة ، جاء المبحث الأول منه تحت عنوان التركيبة السكانية لمجتمع مدينة قسنطينة ، و يليه المبحث الثاني بعنوان الحياة السياسية و الاقتصادية في مدينة قسنطينة ، أما عن المبحث الثالث فقد حمل عنوان الحياة الاجتماعية و الثقافية في مدينة قسنطينة ، و أخيرا مبحث رابع بعنوان المباني و العمران في مدينة قسنطينة .

أما الفصل الثالث و الأخير فقد جاء تحت عنوان الريف القسنطيني خلال العهد العثماني و قد تفرع بدوره إلى أربعة مباحث ، حمل المبحث الأول عنوان التركيبة السكانية لمجتمع الريف القسنطيني ، أما المبحث الثاني فقد جاء تحت عنوان الحياة السياسية و الاقتصادية للريف القسنطيني ، في حين حمل المبحث الثالث عنوان الحياة الاجتماعية و الثقافية بالريف القسنطيني ، أما عن المبحث الرابع و الأخير فقد كان بعنوان الأشكال العمرانية بالريف القسنطيني .

المنهج المتبع :

و لتحليل عناصر هذه الخطة إعتدنا على مناهج مختلفة تنوعت ما بين المنهج الوصفي في وصف الحياة العامة لكل من المدينة والريف ، خاصة في الجانب الاجتماعي و الثقافي ، و المنهج المقارن للمقارنة بين المدينة و الريف في أحوالهما العامة ، و لمحاولة معرفة أسباب التقارب و الاختلاف بينهما إستعملنا المنهج التحليلي ، كل هذا تم في قالب تاريخي لما يحتويه الموضوع من أحداث تاريخية متسلسلة تسلسلا كرونولوجيا.

نقد المصادر و المراجع :

و لقد إعتدنا في دراستنا لهذا الموضوع على جملة من الوثائق التاريخية و التي تنوعت ما بين مصادر و مراجع و رسائل جامعية و مقالات و معاجم ، و لعل من أبرز المصادر التي إعتدنا عليها نذكر :

فندلين شلوصر في كتابه **قسنطينة أيام أحمد باي** ، و الذي أفادنا كثيرا خاصة فيما يتعلق بالجانب الذي يحتوي على مدينة قسنطينة من ناحية التنظيم الاجتماعي و الإداري ، و كذا كتاب **تاريخ قسنطينة** لمؤلفه صالح العنتري ، و الذي أفادنا في الجانب السياسي لمدينة و ريف قسنطينة ، دون أن ننسى أهم مصدر وهو كتاب **التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية** لمؤلفه محمد بن ميمون الجزائري و الذي أفادنا كثيرا في الجانب الثقافي لدراستنا.

أما عن أهم المراجع نذكر :

الأسر المحلية المحلية الحاكمة في بايلك الشرق لجميلة معاشي و الذي ساعدنا في معرفة أسماء القبائل و أماكن إنتشارها ، و كذا أرزقي شويتام في كتابه **المجتمع الجزائري و فعالياته** و الذي ساعدنا في معرفة الفئات الاجتماعية المشكلة لإقليم قسنطينة ، و أخيرا كتاب **الجزائر في التاريخ** لمؤلفيه ناصر الدين سعيدوني و المهدي البوعبدلي و الذي إستعملناه في العنصر الخاص بملكية الأراضي و الجانب الزراعي .

ومن الرسائل الجامعية التي إعتدنا عليها نذكر :

مذكرة الماستر **واقع الحياة الاجتماعية في بايلك الشرق في ظل حكومة الداوي حسين** للطالبتين جبيري إيمان و بوياسي إيمان ، و التي إعتدنا عليها في وصف مختلف الأعياد و الإحتفالات الخاصة بسكان المدينة و الريف و عاداتهم و تقاليدهم ، و رسالة الماجستير **النظام الضريبي بالريف القسنطيني أواخر العهد العثماني** للطالبة فلة القشاعي المولودة موساوي و التي إعتدنا عليها في عنصر الضرائب و المعاملات المالية ، قيمتها و طريقة جبايتها .

ومن بين المقالات التي إعتدنا عليها :

خولة نواري بمقال عنوانه **نظرة حول المجتمع الحرفي و الصناعي بمدينة قسنطينة و الذي إعتدنا عليه في التعرف على أهم الحرف و الأسواق في إقليم مدينة قسنطينة خلال الفترة المدروسة .**

الصعوبات :

و خلال مسارنا في إنجاز هذا الموضوع المتواضع صادفتنا عدة صعوبات ، و هي صعوبات موضوعية قد تصادف أي باحث و هي :

- عدم توفر المصادر المتخصصة في الموضوع (أي منطقة إقليم قسنطينة) ، كون معظم الدراسات في الفترة العثمانية تتحدث على إقليم دار السلطان بشكل كبير .
- عدم تمكننا الحصول على بعض المصادر المهمة في موضوعنا ، و هذا لعدم قدرتنا على التنقل في ظل جائحة كورونا .
- طول الفترة المدروسة (1519 - 1836م) صعب علينا عملية التحكم في المادة العلمية .

و في الأخير يمكن القول أن موضوعنا هذا ما هو إلا خطوة بسيطة حاولنا من خلالها إبراز إقليم من أقاليم الجزائر خلال العهد العثماني ، و البحث فيه من خلال تبيان الحياة العامة لمدينة قسنطينة و مقارنتها مع ريف هذه المنطقة ، حتى يكون لها حظ في الكتابات العلمية الأكاديمية .

الفصل التمهيدي

لمحة عامة عن إقليم قسنطينة

الفصل التمهيدي:

عرف إقليم قسنطينة كغيره من الأقاليم الجزائرية خلال العهد العثماني ، نمطين من الحياة، فبعض سكان هذا الإقليم إعتمدوا على الاستقرار و بناء الحضارة و إختاروا العيش في المدينة لما رأوه من رفاهية وراحة فيها ، و البعض الآخر إعتد على التنقل و ما تقدمه له الطبيعة فإختاروا الريف مكانا للعيش فيه و إستغلال ثروات الطبيعة من أجل كسب قوتهم.

مفهوم المدينة:

لقد عرّف ابن منظور الإفريقي في كتابه " لسان العرب " المدينة ، على أنها المكان الذي يقيم به الإنسان ، فهي مشتقة من الفعل "مدن" أي أقام به ، و تعني إستقرار السكان في مكان ما . كما أن المدن كانت منذ فجر التاريخ عبارة عن قلاع و حصون إذ كانت المدينة تعني في تعبيرها الدقيق هو مجموعة من السكان يعيشون على رقعة جغرافية محددة و مستقرة¹ .

و يمكن الجمع بين لفظتي الحاضرة و المدينة في نفس المعنى و كلاهما يدلان على أنهما مركز تجمع بشري دائم. و تعتمد هذه الوحدة السكانية على الصناعة و التجارة أو عليهما معا² فالحضارة في مفهومها العام تعني توفر المدينة على وحدة سكانية متكاملة و متجانسة، و منشآت عمرانية و عمومية (كالأسواق و المقاهي) ، و نظام إداري و إقتصادي يسيرها ، و عادات و تقاليد مستمدة من ثقافة معينة .

ولعل المعجم الوسيط هو المعجم الذي إستطاع جمع شتات معاني المدينة ، إذ ورد فيه أن: مدن مدونا أي أتى المدينة ، تمدن أي عاش عيشة أهل المدن و تنعم و أخذ بأسباب الحضارة ، المدنية أي الحضارة و إتساع العمران³ . وهذا ما ينطبق على مدينة قسنطينة ،

¹ ابن منظور الإفريقي : لسان العرب ، ج 13 ، ط3 ، دار صادر، بيروت ، 1414هـ ، ص 402.

² ناصر الدين سعيدوني : "الأوضاع الإقتصادية و الإجتماعية و الثقافية لولايات المغرب العثمانية الجزائر-تونس-طرابلس الغرب من القرن 10-14/16م، حوليات الأدب و العلوم الإجتماعية ، الحولية 31 ، قسم التاريخ ، جامعة الكويت ، 1431/2010م ، ص 57.

³ مصطفى إبراهيم و آخرون : المعجم الوسيط ، ط4 ، مكتبة الشروق الدولية ، القاهرة 2004 ، ص 859.

حيث كانت مكانا لإستقرار السكان ، و حصنا منيعا ضد الأعداء و الغزاة ، كما إشتملت أيضا على كل مقومات الحضارة حسب التعريفات التي ذكرناها سابقا ، كالمباني و المنشآت العمرانية و الأنظمة الإدارية و الإنتاجات الثقافية .

و يمكننا القول أن معنى المدينة متعلق بأمرين ، فالأول مرتبط بمسألة الإقامة و الاستقرار في المدينة ، فهي المكان الذي يوفر لسكانه الاستقرار . أما الأمر الثاني فيتعلق بالمجيء إلى المدينة دون الاستقرار فيها ، وهذا يعني أنه المكان الذي يهبط إليه لتحقيق الحاجات من غير إستقرار أحيانا . فمثلا أن يأتي أهل الريف إلى المدينة من أجل بيع بعض البضائع أو لغرض الشراء ، و عند إتمام عملهم يمكنهم العودة إلى مواطنهم¹ .

مفهوم الريف :

الريف بالكسر معناه أرض فيها زرع و خصب ، كما يقصد به أيضا السعة في المأكل و المشرب ، و هو حيث يكون الخضر و المياه و الزرع ، فالريف عكس المدينة ، أو بعبارة أخرى إما يفتر إلى المنشآت الحضارية و بهاذا تكون منشآته بدائية ، و إما يكون سكانه غير مستقرون أي يعتمدون في حياتهم على السفر و الترحال² ، حيث يعرفه ابن منظور على أنه الخصم الواسع من المأكل و المشرب ، و جمعه أرياف و الريف ما قارب الماء من أرض العرب³ .

أما ابن خلدون فيقول بأنه المنتحل للمعاش الطبيعي من الفلح و يقتصر الريف على الضروري من الأقوات و الملابس و المساكن ووسائل الأحوال و أهل الريف يتخذون من الوبر

¹ الزبيدي محمد مرتضى : تاج العروس ، ج36 ، ط1 ، تح : عبد الكريم العرابوي ، مر : ضاحي عبد الباقي و خالد عبد الكريم جمعة ، التراث العربي ، الكويت ، 2001 ، ص 158 .

² محمد مرتضى الزبيدي : تاج العروس ، ج23 ، تح : عبد الفتاح الحلو ، مر : مصطفى حجازي ، مطبعة حكومة الكويت ، الكويت ، 1986م ، ص 370 .

* يتضح لنا أيضا من خلال التعريف أن سكانه يعتمدون على ما تقدمه لهم الطبيعة من موارد في تسيير شؤون حياتهم و يعملون على السفر و الترحال بالنظر إلى المرعى و الفصول ، فمثلا في فصل الشتاء يتوجهون إلى المناطق الحارة في الجنوب ، و في باقي الفصول يتوجهون إلى الشمال ، كما يرتحلون بالنظر إلى أماكن تواجد المأكل لهم و لماشيتهم ، أنظر : جميلة معاشي : الأسر المحلية الحاكمة في بابلك الشرق من القرن 10هـ (16م) إلى 13هـ (19م) ، د.ب.ط ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 2014 ، ص 37 .

³ ابن منظور الإفريقي : لسان العرب ، ج9 ، ص 128-129 .

و الشعر و الطين و الحجر بيوتا كما يعتمد معاشهم على الزراعة و القيام بالفلاحة . و كان حينئذ إجتماعهم و تعاونهم ف حاجاتهم ، و معاشهم و عمرانهم من القوت و الدفاء ، إنما هو بالقدر الذي يحفظ الحياة¹ .

و لقد إختلفت المناطق الريفية في الجزائر إلى فحوص المدن* ، و التي تكون قريبة من حدود المدينة و تكون عادة في تواصل دائم معها ، و قرى الأوطان و التي تكون بعيدة عن حدود أسوار المدينة . و قد تنوعت بين الجبلية و السهلية ، و التلية و السهبية ، فالفحوص هي ضواحي المدن أما الأوطان فهي المناطق الريفية الواقعة ما بعد الفحوص.

بالإضافة إلى ذلك يعرف الريف بشساعة مساحته مقارنة مع المدينة ، و يشتمل أيضا على عدد من الأبنية البسيطة الخاصة، إما للسكن أو لتربية المواشي، فكانت تمتاز هذه المباني السكنية بتنظيمها العشوائي، وتلاصقها مع بعضها البعض في أغلب الأحيان وكان يعتبر المجلس القروي هو المسؤول الأول عن شؤون الريف المختلفة².

و سكان الريف الجزائريون ينقسمون إلى قسمين :

❖ صنف مستقر لمدة معينة و بالتالي يجمع هذا الصنف بين الاستقرار و الترحال و عادة هم سكان الخيام .(البدو الرحل او العشابة)

❖ و صنف مستقر على الدوام و هم سكان الأكواخ و القرى الطينية .

وهذا الصنف الأخير يشترك مع سكان المدن في الاستقرار و يختلف معهم في النمط المعيشي و التنظيم و التخطيط ، و هم سكان الريف الزراعيين³.

¹ عبد الرحمان ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ديوان المبتدأ و الخبر في تاريخ العرب و البربر و من عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر ، ج 1 ، دط ، تح : عبد الله محمد الدرويش ، دار يعرب ، دمشق ، 2003م ، ص 243.

* فحص المدينة : و هو تقسيم إداري للمناطق التي تقع مباشرة خارج أسوار المدينة . أنظر مصطفى أحمد بن حموش : فقه العمران الإسلامي من خلال الأرشيف العثماني الجزائري ، دار البحوث للدراسات الإسلامية و إحياء التراث ، ط 1 ، دبي ، 2000م ، ص 274.

² نوية قرين : النشاط التجاري في الريف و المدينة بالجزائر أواخر العهد العثماني ، مذكرة لنيل شهادة الماستر في تاريخ الجزائر الحديث ، جامعة محمد بوضياف ، المسيلة ، 2018/2019م ، ص 7.

³ بلبروات بن عتو : المدينة و الريف بالجزائر في أواخر العهد العثماني ، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث و المعاصر ، جامعة وهران ، وهران ، 2008/2007م ، ص 210.

و يمكن الإشارة هنا إلى أن المجتمع الجزائري كان مجتمعا ريفيا بالدرجة الأولى فلم تكن هناك أي أهمية للمدينة خاصة في المجال الاقتصادي و إقتصرت أهميتها أنها كانت مركز سلطة فقط ، حيث أنه أكثر من 90 بالمئة كانوا من سكان الريف ، و الأقلية الباقية سكنت في المدينة ، و عادة ما كانوا تجارا أو حرفيين ، و يعملون بما يوفره لهم الريف من موارد¹ .

لمحة عامة عن إقليم قسنطينة_:

لطالما كان إقليم قسنطينة حاضرة من حواضر إيالة الجزائر العثمانية ، في شتى المجالات و هذا راجع لبعده التاريخي ، و موقعه الإستراتيجي الذي مكنه من أخذ الريادة في الشمال الإفريقي ، و الأقطار العربية و الإسلامية . حيث كان هناك تكامل كبير بين ريف هذا الإقليم و مدينته عن طريق التبادل التجاري و الاقتصادي و كذا الثقافي و الإجتماعي ، فالريف مثلا ينتج و المدينة تسوق.

الإطار الجغرافي :

يعد إقليم قسنطينة من أكثر الأقاليم لإيالة الجزائر ثروة و خصبا ، و من أوسعها مساحة ، و يحد هذا الإقليم شمالا البحر الأبيض المتوسط ، و غربا واد السمار ، الذي يعرف بوادي بني منصور ، و بني عباس ، و من الجنوب يحد إقليم قسنطينة الصحراء و بلحق به مدينة ورقلة ، أما من الجهة الشرقية فيحده إقليم تونس² . (أنظر الملحق رقم 01).

قسنطينة مدينة و قلعة يقال لها قسنطينية الهواء ، وهي قلعة كبيرة جدا حصينة عالية لا يصلها الطير إلا بجهد ، تمتد منخفضة حتى تساوي الأرض . حولها مزارع كثيرة و إليها ينتهي رحيل عرب تونس في طلب الكلا و الإحتياجات الغذائية ، و يقول عنها أبو عبيد البكري أنها مدينة

¹ حمدان خوجة : المرأة ، تق و تح و تع : محمد العربي الزبيري ، دط ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، الجزائر ، 2006 ، ص 13.
² ابن شعيب المهدي : أم الحواضر في الماضي و الحاضر ، ط1 ، مطبعة البعث ، قسنطينة ، 1980 ، ص 80.

لم يعرف أحسن منها و هي على 3 أنهار عظام تجري فيها السفن ، و تقع في خندق بعيد القعر ، في أسفله قنطرة على أربعة حنايا يُعبر عليها إلى المدينة¹ .

إذ تقع مدينة قسنطينة فوق صخور وعرة تحيط بثلاثة أرباعها ، يحيط بها من الجانب الشرقي نهر يطلق عليه الوادي الكبير ، و يمر بالجهة الجنوبية و الشرقية و الشمالية في المدينة ، لذلك لا يمكن أن تهاجم المدينة من الناحية الشرقية ، و عندما نتجه خارج المدينة نجد قبالة باب السوق تلا عاليا يطلق عليه كدية عاتي ، و ترتبط من الجنوب الغربي سلسلة صغيرة من الجبال ثم تتحدر في إتجاه الجنوب تحيط بها مقبرة ، كما يحتوي ريف مدينة قسنطينة على أراضي خصبة و متنوعة المنتوج ، إذ أن هناك سهل جميل يمتد من المدينة حتى جبال القبائل ، و به الكثير من القرى و هو مستغل بصورة جيدة ، و خاصة في المناطق الممتدة على ضفة الوادي الكبير ، كما تتميز أرياف قسنطينة بالحدائق الجميلة و التي يزرع فيها العنب بكثرة ، كما ينتج بها أنواع الكيف ، و بها حمضيات كثيرة مثل الليمون و البرتقال و البطيخ و الرمان ، و تعتبر المنطقة ملاذا آمنا للعديد من أنواع الطيور و التي كانت تقيم أعشاشا فوق صخور قسنطينة ، مثل النسور و العصافير و الخطاطيف و طيور اللقلق² . (الملحق رقم 01) .

مدخل جغرافي وتاريخي:

أما عن مناخ مدينة قسنطينة ، فيتميز بمناخ المناطق الداخلية في الجزائر الخاضعة للإنخفاضات الجوية القادمة من الغرب إلى الشرق ، الناتجة عن تقارب مياه البحر الأبيض المتوسط مع تيارات المحيط الباردة ، كما أن وقوع المدينة في منطقة تحدها جنوبا الصحراء جعلها تتميز بمناخ شبه قاري ، تتداخل في تكوينه المؤثرات الصحراوية القادمة من الجنوب .

¹ ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ط1 ، مج7 ، تص : محمد أمين الخانجي ، مطبعة السعادة ، مصر ، 1906م ، ص 89 .
² فندلين شلوصر : قسنطينة أيام أحمد باي ، تر : أبو العيد دودو ، وزارة الثقافة الجزائرية ، الجزائر ، 2007 ، ص ص 73-77 .

هذا ما جعل إقليم قسنطينة يمتاز بتساقط قليل حيث تتلقى من 200/400 ملم من الأمطار سنويا و تقتصر فترة التساقط في الغالب على الخريف و الشتاء و تتوقف في الصيف¹.

فالهضاب العليا القسنطينية بموقعها هذا كانت عبارة عن سهل واسع تنتشر فيه بعض الجبال و تحيط به السلاسل الجبلية ، من الشمال (جبال مجردة ، نوميديا ، البابور ...) ، و من الجنوب (جبال تبسة و الأوراس ...) ، و يتميز خاصة بقلة غاباته و كثرة مراعيه و توفر نقاط الماء في أغلب جهاته و بتربته الخفيفة الخصبة ، التي تسهل خدمتها بالمحراث البسيط و لا تتطلب زراعتها سوى جهد بسيط ، عكس الجهات الساحلية الرطبة و النواحي الصحراوية الجافة ، فضلا على ملائمة الأحوال المناخية و الصحية لإستقرار السكان ، و إنتشار العمران .

و لعل هذه الشروط الطبيعية و المناخية التي جعلت من مدينة قسنطينة تستقطب طرق المواصلات و تتحكم في حركة التبادل التجاري بين تونس و بلاد المغرب الأقصى².

الإطار التاريخي لإقليم قسنطينة :

أصل التسمية و النشأة:

إن المتصفح للكتب التي تحدثت عن هذه المدينة قد يدرك مدى الإختلاف الواضح في قضية نشأتها و ظهورها ، فالمؤرخ القسنطيني أحمد اللبيري في تاريخه لمدينة قسنطينة الذي سماه (علاج السفينة في بحر قسنطينة) قال ما يلي : " أن بني كنعان النازحين من فلسطين حوالي سنة 1300 ق.م ، قد إمتزجو بالنوميديين و أسسوا مدينة قسنطينة حوالي سنة 1450 ق.م. كما ذكر أرنيست ميرسي ، أنه يرجع تاريخ نشأتها إلى العهد الذي غادر فيه الإنسان الكهوف و المغارات و صار يألف حياة الاجتماع و الانتظام³.

¹ لعروق محمد الهادي و فيلاي عبد العزيز : مدينة قسنطينة دراسة التطور التاريخي و البيئة الطبيعية ، دراسات البعث و النشر للطباعة ، قسنطينة ، 1984 ، ص 145.

² ناصر الدين سعيدوني : ورقات جزائرية دراسات و أبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني ، ط2 ، دار البصائر ، الجزائر ، 2009 ، ص 389.

³ بن شعيب المهدي : مرجع سابق ، ص 9 .

و لقد ورد للمدينة عدة تسميات مثل سيرتا ، قرطة ، بلد الهوا ، بلدة الهوى ، مستعمرة سيتوس ، الحصن الإفريقي ، و قسنطينة . أما عن تسميتها الأخيرة و التي مازالت تستعمل إلى عهدنا هذا (قسنطينة) ، فترجع نسبتها إلى (قسطنطين الكبير) الذي أعاد بناءها و رم أسوارها و أعطاهما هذا الإسم سنة 313م ، و ذلك بعد أن هدمها الصراع بين إمبراطور روما (ماكسانس) و (دوميتيوس الكسندر) و الذي إتخذ سيرتا عاصمة له غير مبال بالسلطة في روما ¹ .

و يعود إسم قسنطينة المنسوب إلى قسطنطين أنه كانت له أختا تدعى بهذا الإسم ، و قد سمي المدينة بإسمها . و قد ظهرت بعض الإختلافات فيا يخص هذا الإسم فقد قلنا إن المدينة سميت بهذا الإسم نسبة إلى مجددتها قسطنطين ، و الأرجح هو أن إسم المدينة مركب من كلمتين هما قصر-طينة ، فإمتزجت الكلمتان و صارت بحكم النطق المتغير و التطور الزمني قسنطينة² .

الفترة القديمة:

تعد مدينة قسنطينة من أقدم المدن العريقة في بلاد المغرب ، فقد كانت نقطة هامة في الجزائر لعبت أدوار سياسية و ثقافية و إقتصادية كعاصمة لمملكة نوميديا آن ذاك . وكانت هذه الأخيرة أثناء فترة الملوك النوميديين الأوائل ملتقى ثقافات متعددة و متنوعة³ . و لقد إزدهرت الثقافة و التجارة و الفلاحة في قسنطينة خلال عهد ماسينيسا ، إذ أصبحت سيرتا أو قسنطينة عاصمة عالمية تحظى بإحترام كبير في الأوساط الدولية ، حيث إستطاع في فترة حكمه أن يرفع إقتصاد المنطقة عن طريق تقوية العلاقات التجارية بين نوميديا و الدول الأخرى ، كما

¹ غانم محمد الصغير : قسنطينة عبر تاريخها القديم ، مجلة العلوم الإنسانية ، عدد 12 ، جامعة منتوري ، 1999 ، ص 140.
² سعودي يمينة : الحياة الأدبية في قسنطينة (خلال الفترة العثمانية) ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الأدب الجزائري القديم ، جامعة الإخوة منتوري ، قسنطينة ، 2006/2005 ، ص 14-15.
³ محمد الهادي لعروق و عبد العزيز فيلاي : المرجع السابق ، ص 18.

عرف عهده بإزدهار الزراعة ، و قام أيضا بتقسيمات إدارية من أجل تسهيل عملية تسهيل شؤونه .

الفترة الرومانية:

أما الرومانيون ، فقد كانوا يطمحون في مدينة قسنطينة كما ينظرون إلى قرطاج ، بالرغم من مساعدة ما سينيسا لهم ، راغبين في الثأر منها و الإستيلاء على خيراتها ، فقاموا بإحتلالها سنة (112م) ، و منذ هذا التاريخ أصبحت قسنطينة مستعمرة رومانية . و قد إكتسبت المدينة في هذا العهد تطور العلوم و الثقافة و إزدهارها و إنتشارها بين السكان ، حتى أصبحت قسنطينة تزخر بالمعاهد التي تخرج منها العديد من العلماء¹ .

وقد سعى الرومانيون أيضا إلى بسط نفوذهم المادي و المعنوي ، حيث نشرو لغتهم و ثقافتهم عن طريق إقامة المسارح و المدارس ، و كان التعليم ملزما بلغتهم ، و لكنهم لم يتلقوا إقبالا من البربر ، كونها ثقافة صعبة و جديدة عليهم .

العهد الإسلامي :

خضعت قسنطينة في العهد الإسلامي للدولة الأغلبية و الفاطمية و الزييرية و الحمادية ثم الدولة الحفصية ، حيث ضلت محافظة على إسلامها منذ عهد أبي المهاجر الدينار ، الذي لم يتوان في إرسال بعثات العلماء و الفقهاء لها الذين ساهموا بشكل فعال في تثقيف سكان المدينة و تعليمهم² .

كانت قسنطينة تدين بالولاء إلى الدولة الأغلبية كغيرها من المدن الشرقية ، و الملاحظ في هذا العهد ، هو إهتمام الأمراء بالنشاط الثقافي . ولما جاء الفاطميون ، إختاروا الاستقرار

¹ عمار بوحوش : التاريخ السياسي للجزائر من البداية و لغاية 1962 ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، 1997 ، د.م ، ص 12-13.

² سعودي يمينة : مرجع سابق ، ص 22.

في أرياف إقليم قسنطينة ، و عرفو ترحيبا إقبالا كبيرين من قبل سكان مدينة قسنطينة ، فهم من قامو بتعريبهم ، حيث أنه مع نهاية عهدهم أصبح السكان لا يعرفون سوى لغة القرءان .

أما في العهد الزييري ، فقد عرفت المناطق المجاورة لإقليم مدينة قسنطينة قيام عدة إنتفاضات ، و لكن قسنطينة ظلت هادئة ، و بفضل هذا الهدوء و الاستقرار أصبحت من أهم المراكز الحضرية في بلاد المغرب الأوسط ، حيث شجع الزييريون على رفع الاقتصاد من خلال تطوير الزراعة كما إهتمو بالجانب الثقافي لها أيضا¹ .

ولما أصبحت تحت حكم الحماديين ، تراجع دورها الثقافي نوعا ما لإهتمامهم بالعمران ، حيث إهتمو به و عملو على تشييد المباني و أحييو الفنون ، و الدليل على ذلك أنهم أسسوا المسجد الكبير .

وبعد تفكك الدولة الموحدية قامت الدولة الحفصية في قسنطينة ، و أصبحت القاعدة الحفصية الثانية بعد مدينة تونس ، حيث شهدت نهضة علمية و ثقافية في عهد بني حفص لم تشهد لها مثل من قبل ، و اعتبرت قسنطينة خلال القرن الرابع عشر من المدن الأكثر إزدهارا إقتصاديا و ثقافيا بعد بجاية .

فقد إنتشر بها التعليم بواسطة الكتاتيب و المدارس و الجوامع و الزوايا ، و إنتشرت بها بيوتا علمية حملت مشعل العلم ، كأسرة الحسن ابن الفكون و أسرة أحمد ابن الخطيب ... إلخ. كما أشتهرت قسنطينة بكرة زواياها و جوامعها و كتاتيبها خاصة في هذا العهد².

إختلف الباحثون حول تاريخ دخول العثمانيين إلى مدينة قسنطينة ، و هذا للإفتقار إلى الوثائق المعاصرة للفترة المدروسة ، و بهذا يمكن الوصول إلى أن دخول العثمانيين إلى المدينة لم يكن مرتبطا بتاريخ معين ، بل كان على مراحل و بعد محاولات عدة ، إلا أنهم م يتمكنو الذخول إلى المدينة و الاستقرار بها إلى غاية سنة 1534م ، ذلك أن الوجود العثماني في

¹ محمد الهادي لعروق و عبد العزيز فيلالي : مرجع سابق ، ص 45 ، 46 ، 50 .

² محمد الهادي لعروق و عبد العزيز فيلالي : مرجع نفسه ، ص 51 ، 60 ، 73 .

المنطقة لم يكن إلا رمزيا و غير مستقر لما تخلله من إضطرابات و ثورات داخل المدينة و خارجها¹.

لم يجد العثمانيين ترحيبا من طرف أهل قسنطينة في أول الأمر ، بل و قد وصل الأمر في بعض الأحيان إلى القتال ، أما عن بداية نفوذهم الفعلي ، فلم يحدث ذلك إلا بعد إخضاع العرب بنواحيها و جرت بين الفريقان وقائع كموقعة وادي القطن بين ميله و قسنطينة سنة 1522م ، و فيها إتفق الفريقان على إقتسام الوطن إلى ثلاثة ، ثلث لشيخ العرب ، و ثلث لشيخ الحناشنة ، و ثلث لحاكم الترك و تعاهدو عليه ، و بهذا بدأ النفوذ العثماني في المنطقة².

¹ جميلة معاشي : الأسر المحلية الحاكمة ، مرجع سابق ، ص 113.
² جبيري إيمان و بوياسي مريم : واقع الحياة الاجتماعية في بابلك الشرق في ظل حكومة الداوي حسين ، مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ العام ، جامعة 8 ماي 1945 ، قالمة ، 2015/2016 ، ص 16.

الفصل الأول

مدينة قسنطينة خلال العهد العثماني

المبحث الأول

التركيبة السكانية لمجتمع مدينة قسنطينة

المبحث الثاني

الحياة السياسية والاقتصادية في مدينة قسنطينة

المبحث الثالث

الحياة الاجتماعية والثقافية في مدينة قسنطينة

المبحث الرابع

المباني و العمران في مدينة قسنطينة

الفصل الأول : مدينة قسنطينة خلال العهد العثماني

المبحث الأول : التركيبة السكانية

يتكون سكان مدينة قسنطينة من خليط كبير من الأجناس المختلفة أهمها : الترك و العرب و البربر و اليهود¹ ، و رغم هذا الإختلاف ، إلا أنهم تمكنوا من العيش و التعايش على رقعة ضيقة للصخر العتيق و قد توزعو على هذه الصخرة كالآتي :

1- البلدية :

البلدية أو الحضر ، هم سكان المدينة الأصليون و ينحدر بلدية قسنطينة من الأصول العربية و الأتراك العثمانيين ، الذين تزوجو و استقروا بالمدينة ، و ينسب إليهم اليهود و المسيحيون الذين إعتنقوا الإسلام و إنظموا إلى الإنكشارية (الأعلاج *) ، و كذا اليهود المحليين الذين يعود إستقرارهم بالمدينة إلى ما قبل التواجد العثماني . و يرتقي البلدية في نمط الحياة اليومية ، و يتميزون عن غيرهم في الهدام و أصناف الأكل و الشكل الداخلي للمنازل².

و يتميز البلدية بحياة راقية ، و من مميزات البلدي التكبر على البراني الوافد من الريف ، فالبلدية لا يختلطون بالبرانية في السكن و لا في المعاملة اليومية بإعتباره لا يرقى إلى النمط المعشي الذي يتميز به البلدي ، كما كان عادة لا يصاهره لإعتقاده أنه دون مستواه الحضاري ، فلم يكن البلدي يلتقي بالبراني إلا في الإطار الديني كالصلاة و الأعياد الدينية³.

و قسنطينة معروفة بأنسائها القبلية المتشعبة و المتفرعة و كذا و جود عائلات حضرية عتيقة لها مكانة في المجتمع القسنطيني و من أبرز هذه العائلات⁴ (أنظر الملحق رقم 02).

ومن اهم الاجناس المشكلة لفئات الحضر لمدينة قسنطينة نذكر :

¹ فندلين شلوصر : المصدر السابق ، ص 79.

² جميلة معاشي : الإنكشارية و المجتمع ببابك قسنطينة في نهاية العهد العثماني ، مذكرة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث ، جامعة منتوري ، قسنطينة ، 2008/2007 ، ص 190.

³ فندلين شلوصر : المصدر السابق ، ص 86.

⁴ جبيري إيمان و بوياسي مريم : واقع الحياة الاجتماعية في بابك الشرق في ظل حكومة الداوي حسين ، مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ العام ، جامعة 8 ماي 1945 ، قالمة ، 2016/2015 ، ص 46.

أ- العرب :عرفت قسنطينة منذ ما قبل العهد العثماني بعدد اسرها العريقة والتي تميزت بمكانتها العلمية ومالها وجاهاها ، ويعتبر العرب في مدينة قسنطينة من الاشراف و أصحاب المال والعلم من السكان الاصليين والعرب الوافدين من الأندلس¹ .

ب- الاتراك العثمانيون : كان وضعهم في الجزائر افضل من الفئات الاجتماعية الأخرى حيث كانوا يتولون الوظائف الهامة في الجانبين العسكري و الإداري . وقد تميز عنصر الاتراك العثمانيين بالانضباط والطاعة وكان افراده يحترمون معالم الدين ولم يحاولو فرض عاداتهم و تقاليدهم على الأهالي².

ج- الكراغلة* : تكونت هذه الجماعة نتيجة تزواج أفراد الجيش التركي بنساء البلاد . ويحتلون المرتبة الثانية في السلم الاجتماعي واصبحو بعد فترة قصيرة يؤلفون طبقة وسطى ميسورة الحال تمارس التجارة وتشتغل بالمهن وتستثمر الملكيات الزراعية بالفحوص³ .

د- اليهود : يعود وجود اليهود في الجزائر ككل و قسنطينة خاصة الى فترة الفتح الإسلامي وتكاثرت اعدادهم شيئاً فشيئاً ، حتى وصل عددهم في نهاية الحكم العثماني الى 9000 نسمة اما فيما يخص حالتهم ومميزاتهم و نشاطهم داخل البايلك فاليهود كونهم فئات اجنبية على المجتمع القسنطيني عرفو بمميزات خاصة كالخبث من معاملاتهم والتحايل وبالرغم من ذلك سمح لهم بالعيش وبممارسة النشاط التجاري كما سميت بعض الشوارع باسمائهم مثل حارة اليهود⁴.

هذا بالإضافة الى وجود فئات أخرى مثل العبيد و الأعلاج و المسيحيين الذين كان لهم الأثر البارز في الحياة الاجتماعية بمدينة قسنطينة .

1 جميلة معاشي : المرجع السابق ، ص 191.

2 أرزقي شويتام : المجتمع الجزائري و فعالياته ، مذكرة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث و المعاصر ، جامعة الجزائر ، الجزائر ، 2006/2005م ، ص 113 ، 115.

* الكراغلة: هم الأطفال المولودين في الجزائر من آباء أتراك أو أعلاج من الإنكشارية أو رياس البحر بالنساء الجزائريات سواء كن عربيات ، أمازيغيات أو أندلسيات ، و الكراغلة كمصطلح هي فئة إجتماعية تكونت في العهود الأولى للوجود العثماني ، و يمكن أن نميز هذه الفئة في الجزائر ، أنظر حبيبة عليش : الكراغلة في المجتمع الجزائري العثماني مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الحديث و المعاصر معهد التاريخ ، جامعة المدية ، الجزائر ، 2015/2014م ، ص ص 10 ، 14.

3 ناصر الدي سعيدوني و المهدي البوعبدلي : الجزائر في التاريخ العهد العثماني ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1984 ، ص 94 ، 95.

4 نجوى طوبال : طائفة اليهود بمجتمع مدينة الجزائر 1700-1830م من خلال سجلات المحاكم الشرعية ، دار الشروق للطباعة و النشر و الديوان ، الجزائر ، 2008م ، ص 128.

2- البرانية : يتكون البرانية الذين وصل عددهم في قسنطينة الى 5 آلاف فرد¹ من سكان الريف او المدن الصغرى بالبايك وكان نزوحهم الى عاصمة البايك بهدف العمل لتحسين المستوى المعيشي لأسرهم ومن بين هؤلاء بني ميزاب الذين عملو في المطاحن و المخابز وامتلكو الحمامات العامة ،الساكرة و الجواجلة الذين اختصو في صنع الخبز للانكشارية ، ومن بلاد القبائل ومن الاغواط و السوافا الذين يقصدون المدينة لاحتراف بعض الاعمال البسيطة وغير المربحة مثل البناء و الحماله وحفر الابار و السقاية .

ويمثل البرانية الطبقة الأكثر عددا والأقل مالا في مدينة قسنطينة فكان معظم افرادها يعيشون في الفقر ويسكنون الاكواخ على اطراف المدينة² .ولعل شلوصر يقصدهم بقوله ان اغلب سكان المدينة كانوا من الطبقة الفقيرة و المتوسطة³ .

ومن اهم الطوائف المشكلة لهذه الفئة نذكر :

أ- جماعة بني ميزاب :

تميزت هذه الجماعة بتفانيها في العمل ونزاهتها و حرصها على اتقان عملها فقد اشتغلو بكثرة في مطاحن الحبوب و الحمامات كما عملو في نقل البضائع وبيع اللحوم وعرفو باخلاصهم للحكام و وقوفهم بجانب الاتراك في صراعهم مع الكراغلة.

ب- جماعة الساكرة :

تتكون من أهالي مناطق الزيبان و وادي ريغ و السوف وتوغرت ، أكلت اليهم في العادة الأعمال الشاقة والمهن المتواضعة كإحضار المياه للمنازل ، تنظيف القنوات و المجاري من الاوساخ والقيام بالحراسة في الليل وهذا ما عرضهم الى الاخطار والامراض التي كانوا ضحيتها الأولى⁴.

ج- جماعة الجيلية :

¹ Pagand Bernard : la medina de Constantine de la cité traditionnel au centre de l'agglomération contemporaine, université de Poitier, département de géographie , 1988 , p 24.

² جميلة معاشي : مرجع سابق ، ص 194..

³ فندلين شلوصر : مصدر سابق ، ص 89.

⁴ ناصر الدين سعيدوني والمهدي البوعبدي : المرجع نفسه ، ص 99 ، 100.

كانت تحضى بمكانة خاصة عند الحكام العثمانيين وربما يعود ذلك الى كون أفرادها كانوا من الأوائل الذين استقبلو العثمانيين ، ولهذا منحت لهم الامتيازات فكانوا يحتكرون المخابز والمطاعم .

د- جماعة الاغواطيون :

مارس أفرادها عدة نشاطات مثل حمل البضائع تنظيم الشوارع وبيع الزيت وكانت هذه الفئة تقريبا تحتل المرتبة الخيرة في السلم الاجتماعي فقد كان معظم افرادها يعيشون في أكواخ خارج المدينة وكان عدد كبير منهم يعيشون بمفرهم إذ أن همهم الوحيد هو البحث عن لقمة العيش و العودة بعد ذلك الى مواطنهم¹ .

بالإضافة الى وجود فئات أخرى كالزنج و الاندلسيون والسودانيون الذين كان تأثيرهم قليل على المجتمع القسنطيني .

¹ أرزقي شويتام : مرجع سابق ، ص 99 ، 101 ، 102 .

المبحث الثاني: الحياة السياسية والإقتصادية في مدينة قسنطينة

أولا : الحياة السياسية

إتصف نظام الحكم الذي عرفته مدينة قسنطينة بتعاقب عدة أنظمة سياسية عبر فترات تاريخية محددة أولها فترة حكم البايلرباي 1518-1588 التي ابتدأت باستقرار الحكم التركي وثانيها فترة حكم الباشوات 1588-1659 الذين حددت مدة حكم كل واحد منهم بثلاث سنوات وثالثها حكم الآغوات القصيرة 1659-1671 والتي عرفت فيها الجزائر اضطرابا في نظام الحكم وفوضى في شؤون الإدارة ، أما المرحلة الرابعة والأخيرة فهي فترة حكم الدايات الطويلة والتي استمرت بدون انقطاع من 1671-1830 وقد عرفت فيها الجزائر مقومات السياسية .

تعتبر قسنطينة عاصمة بايلك الشرق وتم الاعتراف بها سنة 1565 من طرف البايلرباي حسن باشا بن خير الدين ، إذ عرف بايلك قسنطينة كغيره من مقاطعات الجزائر بحكم البايات له ، إذ لم يتم تعيين الباي على بايلك الشرق الا بعد عامين من تقسم الجزائر الى ثلاث مقاطعات ويعد المدعو رمضان تشولاق اول باي يتم تعيينه علي البايلك ، وبعد هذا انقسم سكان مدينة قسنطينة الى قسمين بين مساند للعثمانيين ، و بين متشبث للحفصيين¹.

تميزت سياسة الحكام الأتراك بعدم التدخل في شؤون السكان بل وقد عملت على إستنزافهم بواسطة الضرائب والعمل على نشر العداء بين فئات المجتمع حيث ان السلطة العثمانية تميزت بتوجهها العسكري وعملت على تطويره على حساب إقتصاد الجزائر وخير دليل على أثر هذه السياسة هو اندلاع العديد من الثورات التي لم يكن لها أي طابع وطني أو هدف تحرري وإنما كانت مجرد ردة فعل على سياسة الحكام².

التنظيم الإداري في مدينة قسنطينة :

¹ جبيري إيمان و بوياسي مريم : مرجع سابق ، ص 17.
² ناصر الدين سعيدوني و المهدي البوعبدلي : مرجع سابق ، ص 36.

1- **الباي** : هو الحاكم الرئيسي للبايلك يعين من قبل الباشا ويخلع كذلك من قبله مهمته تسيير شؤون البايلك .

2 **أعوان البايلك أو المخزن** : و عددهم تسعة

أ- **ال خليفة** : وهو المسؤول عن شؤون الأوطان وإدارة أراضي البايلك ، يخضع له القيادة وكذا الفرق النظامية لأجل جباية الضرائب وفرض الأمن ويلاحظ أن منصب الخليفة كان يشغله في معظم الأحيان أقارب الباي ، هذا ولأن ضعف بايات قسنطينة في الفترة الأخيرة من العهد العثماني قد أدى بالخليفة الى توسيع نفوذه على حساب مهام الباي.

ب- **قائد الدار**: كان مكلفا بإدارة شرطة المدينة و بتموين الجيش شهريا و بتجهيز الفرق العسكرية عند تحركاتها كما كان يدير القسم الأكبر من الأملاك الريفية التابعة للبايلك وكان يشرف على تخزين العديد من المنتجات و المحاصيل¹.

ج- **ال خزناجي**: يشرف على مصادر دخل البايلك ويتولى تسديد مختلف أوجه الإنفاق بالبايلك ويعينه على ذلك كاتبان رسميان يعرف كل واحد منهما بالدفتر دار .

د- **اغا الدائرة** : وهو قائد الحامية التركية المستقرة بمركز البايلك يتلقى أوامره مباشرة من الداوي ويقوم بعزل أو إعدام أو تعيين البايات الجدد عندها تصدر له الأوامر بذلك².

هـ- **الباش كاتب**: فهو بمثابة الكاتب العام أو أمين سر الباي له عدة صلاحيات منها تحرير رسائل الباي ومراقبة الرسائل الواردة اليه.

و- **الباش سيار**: مهامه تشبه مهام ساعي البريد بحيث يحمل بنفسه رسائل الباي الى الحاكم بالجزائر ويعود برد هذا الأخير الى الباي كما يرافق الخليفة عندما يحمل الدنوش الى عاصمة الجزائر .

ز- **الباش سايس**: وهو المسؤول على الخيول وجياه البايلك من حيث الاعتناء بها وتكاثرها.

¹ عائشة غطاس و آخرون : الدولة الجزائرية الحديثة ، منشورات المركز الوطني للدراسات و البحث للحركة الوطنية و ثورة اول نوفمبر ، الجزائر ، دت ، ص 207 ، 208.

² ناصر الدين سعيدوني و المهدي البوعبدلي : مرجع سابق ، ص 20.

ح- شائوش الكرسي: وهما اثنان من اصل تركي يتوليان مهمة الجلد ويصطحبان الباى عند خروجه حيث يمشيان أمامه ويلقون التحية باسم الباى¹.

بالإضافة الى موظفين مساعدين يساعدونهم في أداء مهامهم مثل : باش العلم- باش الطبل- باش مكاحلي ...، وهناك موظفون خاصون بخدمة القصر وأهمهم: قائد المقصورة، الباش فراش، قائد الطاس

❖ إدارة المدينة: تخضع ادارة المدينة الى قائد الدار مباشرة وكان تحت تصرفه أمناء الحرف ويمكن حصر هؤلاء الموظفين فيما يلي:

1 قائد الباب : مكلف بمراقبة الحبوب والسلع التي تجلب الى المدينة ويقبض من اصحابها الضرائب.

2 قائد السوق : وهو مفتش الاسواق.

3 قائد الزبل : ويصهر على نظافة الشوارع والاسواق.

4 قائد القصبه : وهو المسؤول عن شرطة المدينة الخاصة ليلا وفي مهامه تنفيذ الاحكام الصادرة في حق المتهمين بالإجرام.

5 الجراح : يبلغ أوامر الباى في الاسواق ويرافق الذين صودر في حقهم حكم الاعدام

6 الباش حمار : وهو المسؤول عن البغال ويعمل على توفيرها عند الحاجة البها.

7 وكيل بيت المال : من صلاحيته تقديم المساعدات للفقراء والتصرف في المواريث التي لا صاحب لها وحفر القبور والاعتناء بالمقابر².

ومن أهم البايات الذين توالوا على حكم قسنطينة نذكر :

1 رمضان تشولاق باي : 1574/1567

عينه الباييرباي محمد بن صالح رايس في هذا المنصب في ظل ظروف صعبة ومشاكل متعددة، حدثت في عهده العديد من المشاكل والثورات، استعمل فيها القوة للقضاء عليها،

2 صالح باي : 1791/1771

¹عائشة غطاس واخرون، مرجع سابق، ص،208، 209.

²محمد صالح بن العنثري، تاريخ قسنطينة، تح: يحي بوعزيز، ط: خاصة، عالم المعرفة، الجزائر، 2009، ص 23.

يعتبر صالح باي من اهم البايات الذين توالو على مدينة قسنطينة حيث اتقن بنيانها فحصر البلاد واسس المساجد واجرى الصدقات للضعفاء، وبذلك كانت احواله في غاية الاستقامة والرعية طائعة اليه، ومما يعاب عليه انه لما قرب اجله صار يظلم الناس فادى به ذلك الى الهلاك.

3 الحاج أحمد باي بن محمد الشريف : 1837/1826

يعتبر احمد باي اخر باي عرش قسنطينة حيث عمل على تقويم ما افسده الابايات السابقون طيلة فترة حكمه رغم معادات العديد من القبائل له، والدليل على ذلك صموده امام الفرنسيين حتى سنة 1837¹.

هذا وقد توالى على حكم مدينة قسنطينة 45 باي منهم من كانت فترة حكمه عدة سنوات ومنه من كانت ايام معدودة فقط.

ثانيا: الحياة الاقتصادية.

يعتبر النشاط الاقتصادي في مدينة قسنطينة نشاطا قائما على عنصرين اساسيين هما: الصناعة والتجارة، حيث تميزا بكثرة الاسواق والحرف وكذا احترافية اليد العاملة من جهة وحنكة التجار من جهة أخرى ، هذا ما جعل مدينة قسنطينة قبلة للقوافل التجارية، مما ساهم بشكل كبير في الرفع من مستويات المجالات الاخرى ويمكن القول ان النشاط الاقتصادي في المدينة لم يرق الى مستوى النشاط الاقتصادي بالريف، الذي كان قائما بالأساس على الزراعة.

أ- التجارة

1 التجارة الداخلية

عرفت مدينة قسنطينة بأسواقها الجامعة ومتاجرها المربحة حيث كان لكل حرفة سوق، فهناك سوق الجلد، سوق السلاح ، سوق العطارين، وسوق الخبز، كما كانت قسنطينة السوق الرئيس للصوف والحبوب، ويرجع سبب وجود عدة أسواق للمدينة الى ظاهرة ارتفاع الاسعار

¹ محمد صالح بن العنتري، تاريخ قسنطينة ، المصدر نفسه ، ص 30 ، 90 ، 92.

وفساد العملة كما تشير المصادر الى وجود حرفة الدلالة او الدلال الذي يعمل على الاعلان عن البيع بالنداء¹.

اضافة الى الاسواق الاسبوعية والتي كانت تعقد في مختلف انحاء المدينة وكانت تعرض فيها في الغالب منتجات الارياف مثل: الحبوب، الاقمشة، الاواني الفخارية...، وهناك الاسواق السنوية التي يتم فيها تبادل منتجات الصحراء وافريقيا والمتمثلة في التمور والماشية والصوف وريش النعام بمنتجات التل المتمثلة في الحبوب والزيت والتين.

كما تعقد اسواق سنوية اخرى يتم فيها تبادل منتجات المناطق الجبلية بمنتجات المناطق السهلية كما هو حال الكثر من سكان بني العباس وبوسعادة الذين كانوا يبيعون زيتهم مقايضة بالصوف بمدينة قسنطينة².

ويرجع السبب في ازدهار التجارة لمدينة قسنطينة الى الموقع الجغرافي الهام، والتميز حيث تمركزت المدينة على حافة اقليمين مختلفين هما الصحراء والتل³، ويقول شلوصر: ان قسنطينة على حسب قول سكانها مركز تجاري هام وذلك لموقعها بين الجزائر وعنابة وتونس.

حيث تباع كل السلع من القمح والثمار والمنتجات الاخرى⁴.

فمدينة قسنطينة كانت تضم 28 سوق وسوقية، وسبع تربيغات يتجمع بها صناع النسيج وثلاثة رحبات لعرض السلع، وثلاثة افران لطهي الخبز، وخمسة مطاحن للحبوب، تعالج يوميا ما يعادل 600 قنطار من الدقيق وكذا المحلات التجارية التي تحيط بسوق الجمعة⁵، ولقد كانت التجارة لمدينة قسنطينة محتكرة من طرف اليهود الذين استغلوا علاقتهم بالحكومة بالسيطرة. عليها حيث كانوا يشترون منتجات محلية بارخص الاسعار من الاسواق والفنادق المخصصة للقوافل. ويبيعونها بثلاثة امثال سعر الشراء⁶.

¹ بلخوص الدراجي : جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية في بابلك قسنطينة من خلال نوازل بن الفكون خلال القرنين 16 و17 م، مذكرة

تخرج لنيل شهادة الماستر في التاريخ، جامعة الجزائر، الجزائر ، 2012 ، ص 104

² صالح عباد : الجزائر خلال الحكم التركي 1830/1514، دار هومة، 2012، ص 339.

³ محمد الهادي لعروق، مدينة قسنطينة، دراسة في جغرافية العمران، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ، 1984 ، ص18.

⁴ شلوصر فنلدين، مصدر سابق، ص 87.

⁵ جيبيري ايمان و بوياسي مريم : مرجع سابق، ص147.

⁶ محمد خير فارس، تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الإحتلال الفرنسي، ط2، مكتبة دار الشرق، دمشق، 1979 ، ص106.

2 التجارة الخارجية :

الى جانب كل هذه الانشطة التجارية التي تزخر بها مدينة قسنطينة، فقد كانت هذه الاخيرة ملتقى للقوافل التجارية، التي تجوب انحاء الشرق الجزائري، اضافة الى ان الموانئ التي كانت تابعة لبايلك قسنطينة كانت بها حركة تجارية نشطة وقد يتم منها تصدير مختلف صادرات المنطقة، وخاصة من مناء القالة وعنابة وسكيكدة وقد شهدت هذه المدن نشاطا ملحوظا وتوسعا في حجم المبادلات التجارية مع الخارج ولاسيما مع الشواطئ الشمالية في البحر الابيض المتوسط¹، وقد كانت تسطير عليها شركة بكري وبوجناح، التي انتقل نشاطها الى مقاطعة قسنطينة اثناء حروب الثورة الفرنسية، ومن اهم المواد المصدرة نذكر الحبوب، الصوف، الجلود، الشموع، زيت الزيتون، وكانت قسنطينة لا تستورد من الخارج سوى الاقمشة الحريرية والخردوات والقهوة والتوابل².

والتجارة الخارجية لقسنطينة لم تقتصر على الدول الاوروبية فقط، فقد كانت العديد من القوافل تحمل الى تونس وغدامس، فقد ذكرت بعض النصوص التاريخية لهذه الفترة بان القافلة المتوجهة الى تونس في كل شهر كانت تتكون من 150 الى 200 بغل، محملة كلها بالمحاصيل الزراعية و السلع المصنوعة بالمدينة³، والموقع الاستراتيجي لمدينة قسنطينة، جعلها محطة تمر عليها كل قوافل الحج القادمة من شتى الدول الافريقية، والتي تكون محملة بمختلف البضائع التجارية، وعندما يصلون الى قسنطينة تكون هنالك مبادلات تجارية بينها وبين قسنطينة، وعندما يعودون من الحج يكون في جعبتهم العديد من المتوجات الشرقية الهامة، وبهذا لعبت قوافل الحج دورا كبيرا في التجارة⁴.

ب- الصناعة:

يوجد بقسنطينة عدد كبير من أصحاب الحرف ولاسيما الحدادون، بالإضافة إلى السمكاريين، والنحاسين والنجارين الماهرين، وصانعي السيور والخياطين المتمرسين، الذين يظهرون مهارة كبيرة بالتطريز بالذهب والفضة والحريز، وكذلك صانعي السلال، وعدد كبير

1 جيبيري ايمان و بوياسي مريم ، مرجع سابق، ص147.

2 محمد العربي الزبيري، التجارة الخارجية للشرق الجزائري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر ، 1982 ، ص85.

3 جيبيري ايمان و بوياسي مريم، مرجع سابق، ص152.

4 محمد العربي الزبيري، مرجع سابق، ص183،

من النساجين، إلا أنهم لا يصنعون سوى الأقمشة الصوفية كالسراويل والسترات الخاصة بالطبقات الفقيرة، وهناك عدد غير قليل من الدباغين والخبازين¹.

ومن أهم الصناعات التي اشتهرت بمدينة قسنطينة نذكر منها:

1 الصناعة النسيجية :

لقد كانت تتم بكثرة في البيوت من طرف النسوة فكن يعملن على الطرز والخياطة والحياسة ، ولم تقتصر على النسوة فقط بل كانت هنالك محلات خاصة بهذه الصناعة، ومن أهم منتجات هذه الصناعة نذكر: الألبسة بمختلف أنواعها كالعباءات والمنازر والأغطية بالإضافة إلى الألبسة الحريرية ونجد أن السكان كانوا يهتمون بتربية دودة الحرير التي كانت توفر لهم مادة الحرير²، ولقد تميزت مدينة قسنطينة بخياطة القفطان والذي يعتبر من أغلى الثياب في المنطقة³.

2 الصناعة الجلدية :

نظرا لتوفر رؤوس المواشي من ابقار واغنام ازدهرت صناعة الدباغة او صناعة الجلود بمدينة قسنطينة، فقد كانت تحتوي على 33 مصنعا لدباغة الجلود و 176 معملا للاحذية⁴. كما كان يصنع من مادة الجلد محافظ للاوراق والجلود، وتصنع منه ايضا لوازم الخيول كالسروج والالجمة وغيرها.

3 الصناعة المعدنية :

نتيجة لتوفر المناجم في مدينة قسنطينة واريافها انتشرت صناعة المعادن وتنوعت، فنجد فيها صناعة الحلي والذي يعتبر من اساسيات الزينة عند المرأة القسنطينية، وقد كان يستخرج من المناجم الرصاص والنحاس والحديد ويصنعون من هذه المواد الذخيرة والسكاكين

¹فندلن شلوسر، مصدر سابق، ص87.

²بلخوص الدراجي، مرجع سابق، ص101.

³خولة نوري : نظرة حول المجتمع الحرفي والصناعي بمدينة قسنطينة، مجلة العبر للدراسات التاريخية والاثريّة، المجلد الثاني، العدد الأول، يناير ، 2019، ص289.

⁴عمار عمورة، موجز في تاريخ الجزائر، ط1، دار ربحانة للنشر والتوزيع، الجزائر 2002 ، ص106.

والسيوف والادوات الفلاحية كالمحارث والفؤوس والمناجل.. وكانت هذه المنتجات في الغالب تباع لسكان السهول¹.

4 الصناعة النباتية :

تتمثل هذه الصناعة في تحويل مختلف المنتجات النباتية من قمح وشعير الى مواد غذائية وهذا مايفسره وجود العديد من المطاحن والارحية التي كانت تدار بقوة جريان المياه او بواسطة الحمير.

وهذه المطاحن كانت في الغالب تابعة للدايات او البايات².

بالاضافة الى وجود صناعات اخرى من الصناعة الخشبية والصناعة الفخارية، ويرجع سبب قلة النشاطات الاقتصادية التجارة والصناعة في المدينة الى نقص السكان كون معظم اهالي اقليم قسنطينة خلال تلك الفترة يعيشون في الارياف.

1 أرزقي شويتام، مرجع سابق ، ص225 ، 226.

2 بلخوص الدراجي، مرجع سابق، ص102.

المبحث الثالث: الحياة الاجتماعية والثقافية في مدينة قسنطينة.

أولاً: الحياة الاجتماعية:

يعتبر المجتمع القسنطيني من أعرق المجتمعات الجزائرية لامتداده الحضاري القديم وتنوع فئاته الاجتماعية، فمدينة قسنطينة استطاعت أن ترتقي إجتماعيا عن طريق تفاعل هذه الفئات مع بعضها في شتى المجالات وفق عادات وتقاليد خاصة ونظام اجتماعي متميز ، متحكما في ذلك الوضع الصحي الذي كان مؤثرا على الحياة الاجتماعية طيلة التواجد العثماني في المنطقة.

النظام الاجتماعي في مدينة قسنطينة:

الأسرة : تتألف من الوالدين والابناء، حيث يلعب الوالد دور الرئيس والموجه والمسير والمخطط والمموم في كل شيء، ويحظى بطاعة جميع افراد الاسرة¹. أما داخل البيت فان الام والاخت الكبرى هي صاحبة الامر والنهي، وإذا ما تعلق الامر بشؤون بالغة الاهمية مثل الزواج والطلاق والبيع والشراء فإن رب الاسرة يعقد مجلسا عائليا لمناقشة الأمر².

وما يلاحظ على الاسرة في مدينة قسنطينة احترام الاسلاف بتخليد أسمائهم وذلك للمحافظة على التراث العائلي، وهذا لابعاد الأسماء الجديدة والغريبة والغير متداولة ويعتبر محمد بن عبد الكريم بن يحي الفكون من النماذج الشهيرة في مدينة قسنطينة التي تعد احسن مثال يعبر عن تفضيل الاسرة واحياء ذكرى الفقيد من خلال منح اسمه لمولود جديد³. ويلاحظ من خلال عقود الزواج والطلاق خلال هاته الفترة أنها تحتوي على اسماء اهل البيت مثل: فاطمة، محمد، وهذا لتأصل العقيدة الدينية الاسلامية بين أفراد الأسرة القسنطينية واهتمامهم بحفظ القران الكريم وتعلم اللغة العربية.

كما تميز المجتمع القسنطيني بالتكافل الاجتماعي وكذا التمسك الشديد في تطبيق تعاليم الدين الاسلامي وأداء مختلف العبادات⁴.

¹ يحي بوعزيز، الحالة الاجتماعية و الاقتصادية للمجتمع بالشرق الجزائري خلال العهد العثماني في القرن 19 ، الجزائر ص481.

² محمد العربي الزبيرى : مرجع سابق ، ص45.

³ فاطمة الزهراء قشي : قسنطينة المدينة و المجتمع النصف الأول من القرن الثالث عشر للهجرة من أواخر القرن الثامن عشر إلى منتصف القرن التاسع عشر ، مذكرة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ ، جامعة تونس ، 1998 ، ص 179.

⁴ يحي بوعزيز : الحالة الاجتماعية و الاقتصادية للمجتمع بالشرق الجزائري خلال العهد العثماني في القرن 19 ، الجزائر ، 1980 ، ص 497.

لقد كان للمرأة في مدينة قسنطينة مكانة علمية خاصة على غرار النساء الجزائريات فهي اساس للعادات والتقاليد والقيم المتوارثة، غير أن حياتها المحتشمة داخل المنزل حال دون التعرف على أوضاعها الخاصة بدقة.

ولم يقتصر عمل المرأة على تربية الاطفال وشؤون البيت من طبخ وغسل فحسب بل تعدته الى اعمال واشغال يدوية متنوعة كصناعة الاواني وغزل الصوف ونسج الحياك والبرانس و أعمال التطريز، كما كان لها باع في مجال المعاملات والمبادلات ولم يقتصر عملها هنا فقط بل انها فتحت ورشات خاصة.

كانت وضعية المرأة في المدينة مخالفة كثيرا عن نظيراتها في الريف فالمرأة الحضرية هي سيدة بيتها الا انها محرومة من الشارع مهما كانت طرقها الاجتماعية وان كانت ذات جاه ومال وقد تخرج للضرورة بصحبة أطفالها¹.

الاعياد الدينية والاحتفالات الشعبية:

يوم الجمعة: يعتبر يوم الجمعة يوم عيد فهو يوم مبارك بالنسبة للمسلمين وما يميزه هو أداء صلاة الجمعة جماعة اذ يقول شلوصر في هذا الامر: " ... وللمسلمين يوم مبارك في الاسبوع وهو يوم الجمعة ويسمونها الجمعة ولكن لم أجد فرقا بينه وبين الايام الاخرى فالناس يذهبون كالعادة لأداء الصلاة ويمارسون أعمالهم..."².

شهر رمضان: يعتبر شهر رمضان شهرا مميزا بالنسبة للمسلمين حيث يتم فيه الصيام، فبمجرد رؤية الهلال يعلن عن بداية الصيام بطلقة مدفع وهذا امتثالا لقوله عز وجل: " يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون أياما معدودات فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيرا فهو خير له وأن تصوموا خير لكم ان كنتم تعلمون"³.

ويبدأ الامساك في الثالثة صباحا بعد الفجر حيث ينقطع المسلمون عن الأكل والشرب ولا يدخنون ويتحرزون من شم الورد. وكثيرا ما يرفض المريض تناول الدواء ، أما إذا ارغمه المرض على الافطار فانهم يصومون تلك الايام فيما بعد في الساعة السادسة مساء كما يعلنون على الافطار ايضا بطلقة مدفع⁴.

¹ جبري إيمان و بوياسي مريم : مرجع سابق ، ص 71.

² فندلين شلوصر : مصدر سابق : ص85.

³ القرءان الكريم : سورة البقرة

⁴ فندلين شلوصر : مصدر سابق ، ص 85.

عيد الفطر المبارك:

وفور انتهاء شهر رمضان المبارك يكون عيد الفطر ، حيث يتبادل السكان التهاني بمناسبة هذا العيد عن طريق تقبيل بعضهم البعض في الراس او في الكتف اليمنى، وينظم الباي حفلة عشاء يحضرها عامة الناس اذ يمكن لأي شخص أن يدخل القصر في ذلك اليوم ، ويرتدي الناس خاصة الاطفال منهم في هذا العيد البسة جديدة مطرزة بالذهب والفضة مما يجعل مظهرهم في منتهى الروعة.

وهناك عادة خاصة في مدينة قسنطينة في اليوم الموالي اذ يركب الباي جواده والطبول تتعالى وتتبعه اجود الخيول وبغاله مغطاة باسرجة واغطية مطرزة، ويتبع موكبه عدد كبير من الاهالي ويجلس الباي فوق مخدة في رحبة ويبدأ السباق بين الخيل تحت انغام الموسيقى وصوت البارود، وبعد ذلك يوزع الباي الهدايا على خدامه وحراسه ويقدم الجوائز لأحسن الفرسان، أما الاطفال فتعان لهم أرجيح وخيام يتناولون فيها عصير الليمون والبرتقال مجانا ويصدر عادة العفو عن الاسرى الذين شفح فيهم¹.

عيد الاضحى المبارك:

وبعد عيد الفطر يحتفل المسلمون في قسنطينة بعيد اخر وهو عيد الاضحى المبارك، يحتفل فيه بذكرى التضحية المقدسة من قبل ابراهيم عليه السلام بالكبش بدل ابنه اسماعيل عليه السلام²، والاحتفال بهذا العيد يكون بنفس طريقة الاحتفال بعيد الفطر الا ان على رب العائلة أن يذبح لكل فرد ذكر من افارد عائلته خروفا ويأكل اللحم لمدة ثلاثة أيام³.

المولد النبوي الشريف:

أما عن المولد النبوي الشريف فكان فيه الاحتفال مميزا حيث تكون مختلف الاطباق من الحلويات والمأكولات وتستعمل فيه مختلف أنواع الشموع⁴ ، فهو عيد كبير بالنسبة للأطفال، فالمساجد والمدارس كانت تزين بالأعلام والازهار ويقف التلميذ أمامهم ويدفع المارة النقود للأطفال فيرشون وجوههم بالماء المعطر.

¹ جبيري إيمان و بوياسي مريم : مرجع سابق ، ص 79.

² وليام سينسر : الجزائر في عهد رياس البحر ، تع : عبد القادر زيادة ، دار القصة للنشر ، الجزائر ، 2006 ، ص 120.

³ فندلين ثلوصر : مصدر سابق ، ص 86.

⁴ أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي ، ج 1 ، ط 1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1998 ، ص 156.

وتوجد بقسنطينة مدارس كثيرة ولذلك من المستحيل أن يمر المرء في هذا اليوم بشارع من الشوارع دون أن يتوقف¹.

العقيقة:

أما عن العقيقة فتتمثل في ذبح كبشين للذكر وكبش واحد للأنثى، ثم يعلن اسم الولد، وغالبا ما يكون الاسم من احد اسماء العائلة وبعد الذبيحة يوزع اللحم على المحتاجين والغاية من هذا العمل الخيري هو حفظ الطفل من كل أذى، أما النصف الاخر يُحضر كمأدبة للعشاء للمدعوين وفي نفس اليوم تقص خصلات شعر المولود وترن عند الصائغ ويحول وزنها من الذهب الى عمله نقدية وتمنح للفقراء².

الزواج:

لقد كان الزواج في مدينة قسنطينة يتم عن طريق التوسط* ويتم دائما عن طريق امرأة مسنة صديقة لعائلة الزوج أو الزوجة تتم بالواسطة ، فالتخطيط للزواج وعقده لم يكن عن الزوج لأن الشاب اذا اراد ان يتزوج فانه لا يستطيع ايدا ان يقيم علاقة شخصية مع فتاة لأنه لا بعد وسيلة لدخول بيت المرأة، اذ كان يتم عن طريق الامهات والعلاقات النسوية حيث يلتقي النساء سواء في الزيارات المتبادلة للمنازل او في الحمامات العمومية، وبعد الاتفاق بين العائلتين تجرى مراسيم الخطبة والتي هي الاساس اتفاق يسبق قراءة الفاتحة بين والدي الخطيبين دون ابرام العقد.

أما عن طريقة الاحتفال بالزواج فيتجول الزوج بضعة ايام قبل الحفل في نواحي المدينة على اصوات الطبول والمزامير وفي يوم الزواج يقوم بجولة اخرى مرتديا جلبابا احمر وبجانبه سيف رفيع، اذ يأخذ الزوج الى الحمام من طرف اصدقائه وبعدها يلتحق بالزوجة في بيتها وعلى يعلن على انها زوجان لبعضهما وفي هذه الاثناء تكون الزوجة قد انتقلت الى بيت زوجها على ظهر حصان ويرافقها الاصدقاء بالمزامير والطبول³.

الختان:

¹ شلوصر فندلين : مصدر سابق ، ص 86.

² Musée national de l'arts et traditions populaires : la vie quotidienne , p 68.

* الوسيطة : هي امرأة مسنة صديقة لعائلي زوج و زوجة المستقبل ، يذهبن من بيت لبيت في مهمات للعائلات اللاني لهن اولاد في سن الزواج ، و يجلبن الاخبار من وقت لآخر حول التطور الجسمي للفتيات من البيوت إلى الاباء الراغبين في القيام بعقود زواج لابنائهم : أنظر وليام سبنسر ، مصدر سابق ص 116 ، 117 .

³ وليام سبنسر : مصدر سابق ، ص 116 ، 117 ، 118.

و حفلات الختان ، هي حفلات تشبه الحفلات الاخرى، فكان الاطفال يختنون في سن الرابعة ويدعى الرجل الذي يقوم بهذه العملية: "البشار" يقدم له الاثرياء مقابل ختن أبنائهم هدية لا تزيد عن أما أبناء الفقراء فيختنهم مجانا، ويقدم أهل الطفل الطعام في المناسبة وقيمون حفلة تشبه حفلة العرس حيث تتزين النساء ويرقص على أنغام الموسيقى ويزغرتون¹.

الموسيقى:

تعتبر الموسيقى من الضروريات التي لا يمكن الاستغناء عنها في المجتمع القسنطيني فقد تطورت مع مرور الوقت وهذا بإدخال الاندلسيين الات وطبول جديدة، اذا يطلق على التراث الموسيقى المسمى بالاندلسي في مدينة قسنطينة اسم المالفوف* ، ويختلف هذا اللون الموسيقي الكلاسيكي عن بقية الانواع الموجودة في المدارس الاخرى ويفرع المالفوف في عدة طبوع كالعساوة والفقيرات والوصفان، وقد أحدثت ظاهرة الموسيقى والغناء في مدينة قسنطينة اختلافا حادا بين الفقهاء ورجال الدين بسبب قوة التيار السلفي في المدينة، وشيوع التيار الصوفي وقد اثارت هذه الظاهرة حافظة الشيخ عبد الكريم الفكون حيث استنكر لجوء البعض من اهل التصوف الى استعمال الموسيقى في المدينة².

اللباس:

لقد ظهر في مجتمع قسنطينة العديد من أنواع الالبسة وهذا التنوع الطوائف السكانية والثقافات، حيث يلبس اليهودي تمنعه من وضع الماء ومعظفا ذا أكمام عريضة بشكل لا يمنع من غسل الاطراف العليا وكذلك حزاما عريضا وخناجر كبيرة جميلة في الجيوب على الجانب الايسر وفي الشتاء يلبسون سراويل تضيق عند أدنى الركبة كما يفعل الاسبانيون وأحذية ملونة توضع في الرجل أو تخلع دون أن تلمسها ضباطات اليد هي عبارة عن نوعية من الأخفاف للجوانب العالية.

أما عن لباس سكان مدينة قسنطينة فهم يرتدون ثوب فضفاض عريض متصلة جوانبه بأكمام وقلنسوة، يدعى البرنوص، ويضاف اليه ألبسة تحتية مهدبة ويلبس ذو الاعتبار من

¹ أبو العيد دودو : الجزائر في مؤلفات الرحالة الألمان 1830 / 1855 ، الشركة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1989 ، ص 122 ، 123 .
* المالفوف : هو أحد أنواع موسيقى الطرب الأندلسي ، و هو مصطلح يطلق على الموسيقى الكلاسيكية بالمغرب العربي ، نشأ في الأندلس و ارتبط في بعض الأحيان بالمديح ، و هو لا يتقيد بالأوزان والقوافي . أنظر محمد عثمان : صفحات من تاريخ و معالم قسنطينة ملكة الشرق الجزائري و مدينة الجسور المعلقة ، ط1 ، دار المصرية للكتاب ، مصر ، 2013م ، ص 44 .
² عبد العزيز فيلالي و محمد الهادي لعروق : مرجع سابق ، ص 46 .

الرجال بدعتين او ثلاثة بدعيات مقترحة عند الرقبة وتزركشها الازرار وخيط الطرف وسروال مطرز عريض وفضفاض، ويضاف الى هذا شاش او شاشية حمراء¹.

وملابس الاتراك عادة مزينة بالقصب وبحواشي الذهب أو الفضة أو الحرير طبقا لغرور الشخص ونزواته، وتشكل العمامة وثنيها من نوع المادة التي صنعت منها هي المقياس الذي يحكم عليه الناس بقيمة الرجل الذي يلبسها، وفرق جميع ملابسه يلبس الرجل برونوا يحمله على كتفه ويغطي به كل جسمه.

وترتدي المرأة الحضرية قميص صغير يصنع عند نساء الطلقة الغنية من ارفع المواد وأقصرها ومن سراويل تنزل حق العاقب، وثوب حرير يكون غني بالتطريز ويعلق بشريط من الوراء، كما تلبس حذاء بدون جوارب² وقد عرفت المرأة القسنطينية بأناقته وحبها للعطور والنباتات التزيينية وهما متعلقة بعادة تقطير الورد.

ومن اهم مظاهر لباس المرأة القسنطينية هو ارتداء العباية في تنقلاتها خارج البيت وهي عبارة عن ملحفة سوداء ويقال نها ارتدتها حزنا على موت صالح باي الذي كانت له شعبية ومنزلة خاصة لدى اهالي قسنطينة³.

ولعل ابرز انواع الحلبي المتداولة من طرف المرأة الحضرية من ذهب وفضة الخلال و المقياس والاقراط والخواتم، ويتضح ذلك من خلال وثائق المعاملات والمبادلات : " الحمد لله اشهدت امنة بنت محمد بنت الصالح وهما بحال الصحة تعلم ما تقول وما يقال لها اناه اوصت بأربعة خواتم لامها واوصت لربيبها بخلال من ذهب ..."⁴. (أنظر الملحق رقم 03).

الأوضاع الصحية :

لقد تأثرت مدينة قسنطينة بشكل كبير من الجانب الصحي و الذي أدى بدوره إلى تدهور نشاطات المجالات الأخرى ، و هذا لإنتشار الأمراض و الأوبئة و الكوارث الطبيعية ، و نذكر

¹ وليام سينسر : الجزائر في عهد رياس البحر ، تع : عبد القادر زيادة ، دار القصة للنشر ، الجزائر ، 2006 ص ص 101 ، 103 .

² وليام شالر : مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر 1816-1824 ، تع و تق : إسماعيل العربي ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1982 ص ص 83 ، 85 .

³ محمد عثمان : صفحات من تاريخ و معالم قسنطينة ملكة الشرق الجزائري و مدينة الجسور المعلقة ، ط1 ، دار المصرية للكتاب ، مصر ، 2013 ، ص 44 .

⁴ صر هودة يوسف : معاملات و مبادلات إقتصادية في قسنطينة أواخر العهد العثماني : مذكرة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ الجزائر الحديث ، جامعة قسنطينة ، 2005/2004 ، ص 40 .

من بين الأوبئة التي تعرضت لها مدينة قسنطينة وباء 1793م و هو طاعون أصاب في بادئ الأمر مدينة الجزائر ثم إنتقل لاحقا إلى قسنطينة عن طريق المبادلات التجارية .
و قد كان يقتل يوميا ما بين 50 إلى 150 شخص يوميا في مدينة قسنطينة لوحدها .
ووباء 1816م الذي يعتبر أخطر وباء أصاب البايك حيث أنه دام 4 سنوات ، ويرجع بعض الباحثون أن العدوى جاءت من الإسكندرية عندما حلت سفينة الحجاج بميناء عنابة¹.

ثانيا : الحياة الثقافية

لطالما كانت مدينة قسنطينة حاضرة ثقافية في شمال إفريقيا عموما و في الجزائر خاصة ، و هذا لموقعها الهام الذي يعتبر ملتقى مختلف الثقافات المجاورة الأخرى ، و هذا ما أدى إلى إزدهارها علميا عن طريق ثلة من العلماء ، و مختلف المؤسسات الثقافية و التي كانت تدرس مختلف العلوم و تستقطب العديد من الطلبة من داخل الجزائر و خارجها .
المؤسسات الثقافية بمدينة قسنطينة :

لقد عرفت مدينة قسنطينة عدة مؤسسات ثقافية ذات الطابع الديني والتي ساهمت بشكل كبير في الرفع من المستوى الثقافي للمدينة ، و هذا ما جعل العديد من المؤرخين و الكتاب يتناولونها في كتبهم و مخطوطاتهم ، لتمييز هذه المؤسسات عن باقي المؤسسات الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني ومن بين هذه المؤسسات نذكر :

أولا : المساجد

تعتبر المساجد المؤسسة الأولى من حيث الأهمية في المجتمع القسنطينة و هذا لأنها تؤدي عدة وظائف ثقافية و دينية و إجتماعية ، فلا تكاد تجد حيا بدون مسجد ، إذ كان هو ملتقى العبادة ، و مجمع الأعيان ، و منشط الحياة العلمية و الاجتماعية ، إذ تنتشر حوله المساكن و الأسواق و الكتاتيب ، و يعتبر الرابطة بين أهل المدينة كونهم يشتركون جميعهم في بنائه و أداء الوظائف فيه . و كان تشييد المسجد عملا فرديا لا يتعدى مجهودات السلطات الحاكمة².

¹ محمد العربي الزبيري : مرجع سابق ، ص 51 ، 52 ، 53.

² سعد الله أبو القاسم : تاريخ الجزائر الثقافي ، مرجع سابق ، ص 245 ، 246 ، 247.

و هناك فرق بين الجامع و المسجد ، فالجامع أكبر حجما من المسجد ، و هو الذي تؤدي فيه الصلاة الجامعة أو الجمعة و العيدين ، و بعض هذه الجوامع كان أيضا يسمى بالجامع الكبير أو الجامع الأعظم ، غير أن هناك بعض الباحثين يذكرون المساجد فقط ثم يفصلون صغيرها عن كبيرها ، ما له صومعة و ما ليس له صومعة.

و يقسم الأستاذ أحمد مريوش المسجد إلى ثلاثة أنواع ، فالنوع الأول هو الذي قام بتأسيسه الحكام كالخلفاء و الأمراء و الولاة و الملوك كجزء من واجبهم الديني لخدمة المجتمع الإسلامي ، و محاولة كسب عطف الرعية ، و النوع الثاني هو الذي قام بتأسيسه الأثرياء من الناس ، و هذا ببنائه و صيانتته و الوقف عليه بهدف التقرب لله و إستمالة بعض الفئات الإجتماعية ، و النوع الثالث هو الذي أسسته الفئات الاجتماعية كالمؤسسات الخيرية و غيرها و هو عمل مكمل لعمل الولاة و الأغنياء و الشيوخ¹.

و لقد أورد الورثيلاني في رحلته عندما زار مدينة قسنطينة أن بها خمسة جوامع خطبة ، في حين أحصى فيرو ((Feraud 75) مسجدا و جامعا ، أما قايد (Gaid) فيذكر أن بها قرابة مائة مركز ديني بين مسجد و زاوية و جامع و مدرسة² . و من أشهر المساجد التي كانت في مدينة قسنطينة في تلك الفترة نذكر :

1 الجامع الكبير :

يعود بناؤه إلى القرن 12م ، في عهد آخر ملوك بني حماد الصنهاجيين " يحي بن عبد العزيز بن الناصر بن علناس بن حماد بن بولوغين بن زيري بن مناد بن منكوس " . يوجد ببطحاء السويقة ، المتوجه نحو القنطرة القديمة ، الواصلة بين المدينة و محطة السكة الحديدية ، و يعد من أكبر و أجمل جوامع المغرب الإسلامي . يحتوي على قاعة صلاة مربعة الشكل منبره مصنوع من الخشب ، يقع على يمين المحراب ، و من العلماء الذين تولى التدريس فيه نذكر : محمد المكي أبو طالبي و محمد عيسى الشاذلي البوزيدي ، كما قضى الحسن الوزان معظم حياته مدرسا في مساجد قسنطينة³ . (أنظر الملحق رقم 04)

¹ أحمد مريوش و آخرون : الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني ، دط ، دار القصة ، الجزائر ، 2007 ، ص 12 ، 13 .

² رشيدة شدرمي معمر : العلماء و السلطة العثمانية في الجزائر ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ الجزائر الحديث ، جامعة الجزائر ، الجزائر ، 2006/2005 ، ص 53 .

³ بوجلال نصيرة : البيوتات العلمية في قسنطينة ما بين القرنين 7 و 10 هـ / 13 و 16م ، مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الوسيط ، جامعة 08 ماي 1945 ، قالمة ، 2017/2016م ، ص 51 .

2 الجامع الأخضر :

و يسمى أيضا جامع سيدي لخضر نسبة إلى الشيخ سيدي لخضر الذي كان أول عالم في المسجد ، أسسه حسين باي سنة 1742م لإقامة الصلاة و التعليم فيه ، سمي بالجامع الأعظم كما حظي بمستوى جيد في التعليم الشرعي¹. يتكون هذا المسجد من طابقين ، الأرضي به مجموعة من الحوانيت المتقابلة ، أما الطابق العلوي فيتشكل من بيت الصلاة ، سقف الجامع مشكل من قبتين إحداهما تتقدم المحراب و الأخرى تتوسط بيت الصلاة ، أما المئذنة فهي مستقلة عن جدران الجامع².

3 جامع سوق الغزل :

أمر ببناؤه الباي حسن و كان ذلك عام 1721م ، يقع أمام سوق الغزل (سوق الصوف)³ ، و هو عبارة عن شكل مستطيل ، يتكون من مدخلين ، كما يمتاز بمحرابه و قبابه⁴. كما يحتوي على العديد من الزخارف التي وجدت على جدرانه ، و تميز هذا المسجد بالصناعة و النقش الدقيق ، و هو من المساجد التي تميزت بالطابع الجمالي و الفني⁵. (أنظر الملحق رقم 05)

4 جامع سيدي الكتاني :

تم بناؤه سنة 1776م من طرف صالح باي ، و توجد بجانبه مقبرة عائلة صالح باي ، و بني إلى جانبه مدرستين : مدرسة سيدي الكتاني و مدرسة سيدي لخضر⁶. و قد إستمد تسميته من ضريح سيدي الكتاني المتواجد أمامه. (أنظر الملحق رقم 06)

و تعتبر هذه أشهر المساجد في مدينة قسنطينة و التي إشتهرت لكبرها و لنشاطها الكبير الذي أخرج العديد من العلماء ، و هناك بعض المساجد الأخرى مثل جامع سيدي

¹ محمد عثمان : مرجع سابق ، ص 20 ، 21.

² عبد القادر دحدوح : مدينة قسنطينة خلال العهد العثماني ، دراسة عمرانية أثرية ، مذكرة لنيل شهادة دكتوراه علوم في الأثار الإسلامية ، جامعة الجزائر ، 2009/2009م ، ص 368 ، 373.

³ محمد عثمان : المرجع السابق ، ص 18.

⁴ عبد القادر دحدوح : المرجع السابق ، ص 361.

⁵ رواية خرزوي و آخرون : الحياة الثقافية في مدينة قسنطينة خلال العهد العثماني ، مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الحديث و المعاصر ، جامعة محمد بوضياف ، المسيلة ، 2014/2015 ، ص 28.

⁶ جبري إيمان و بوياسي مريم : مرجع سابق ، ص 105.

محمد بن ميمون الذي يقع في شارع النجارين ، و جامع سيدي حفصة الذي يقع بنهج عبد الله باي ، و جامع رحبة السوق و مسجد سيدي راشد ... إلخ¹.

و قد كان هناك إختلاف بين المساجد الجزائرية و المساجد العثمانية من حيث البناء ، فالأولى كان بناؤها ذا شكل بسيط ، مبنية بالجبس أو الحجارة ، و صوامعها منخفضة ، أما أفرشتها فكانت بسيطة كالحصير و الزرابي ، و العناية بها كانت ضعيفة و في المقابل كانت المساجد الثمانية ذات بناء دقيق ، فهي مبنية بالزليج أو الرخام و منابرها جميلة الشكل ، و إمتازت بالثريات و الزخارف و النقوش و العناية بها كانت عكس مساجد الجزائريين².

ثانيا : الزوايا

بالرغم من الإنتشار الكبير للزوايا خلال العهد العثماني كان في الأرياف ، إلا أن المدن أيضا نالت نصيبها من هذه المنشآت الثقافية ، و قد احتلت الزوايا مركزا هاما من بين المؤسسات الثقافية الأخرى ، خاصة من ناحية تكوين و تعليم كل فئات المجتمع بمختلف طبقاتهم و أجناسهم ، حيث قسمها محمد بن ميمون إلى قسمين :

القسم الأول يقوم بتحفيظ القرين الكريم ، و قد يؤمه غالبا الغرباء الذين سبق لهم أن تعلموا الحروف الهجائية و إستظهروا بعض السور من آي الذكر الحكيم على الأقل . أما القسم الثاني فيقوم بتدريس الفقهيات و العقائد و قواعد النحو و الصرف ، و فنون البلاغة و المنطق و بعض المبادئ في علم الفلك ... ، و هذا الجزء لا يؤمه إلا المستظهرون لكتاب الله العزيز من طلاب العلم الشريف³.

فالزاوية تختلف في بنائها عن المسجد ، فهي تجمع بين هندسة المنزل و المسجد ، فهي قصيرة الحيطان منخفضة القباب و العرصات ، قليلة النوافذ ، بالإضافة إلى أنها كثيرة الرطوبة و العتمة . و شكل الزاوية يوحي بالعزلة و النقشف و الهدوء أكثر مما يوحي

1 كمال غربي : المساجد والزوايا في قسنطينة الأثرية، دط، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، دب.ن، دب.ن، 135 ، 140.

2 أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي ، مرجع سابق ص 254 ، 255.

3 محمد بن ميمون الجزائري : التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية ، ط2 ، تق و تح : محمد بن عبد الكريم ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1981م ، ص 58 ، 59.

بالحركة ، بغض النظر عن بعض الزوايا المعدة أصلا لسكن الطلبة و نحوهم ، فهي في الغالب واسعة و صحية¹.

و من أهم زوايا مدينة قسنطينة نذكر :

1 زاوية ابن نعمون :

تقع في ناحية الشط ، و هي معروفة باسم الزاوية التيجانية ، و بها مدافن آل نعمون و هم من بآيات المدينة ، و منهم محمد الشريف بن نعمون ، تقام في هذه الزاوية الصلوات الخمس و الدروس العلمية.

2 زاوية باش تارزي :

أسسها عبد الرحمان بن أحمد بن حمودة الذي عرف بباش تارزي ، المتوفي عام 1806م ، و الذي ينتمي إلى الطريقة الرحمانية فكريا و علميا ، وإعتبره الحفناوي ناشر الطريقة الرحمانية في قسنطينة ، و تقع هذه الزاوية في حي "الشارع" و عرفت بالزاوية الرحمانية لإتباعها هذه الطريقة. (أنظر الملحق رقم 07).

3 زاوية الشيخ الفكون :

تتواجد في حي الخرازين ، لهذا تسمى أيضا بزاوية الخرازين ، و معروفة أيضا بالزاوية التيجانية ، كانت هذه الزاوية تقوم بتدريس الطلبة و الإنفاق عليهم و ظلت وظائف هذه الزاوية تنتقل بين أفراد هذه العائلة ، و كان الناس يأتون إليها من كل مكان نظرا للأهمية العلمية التي كانت تكتسيها ، كونها درست مختلف العلوم العقلية و النقلية . كما إحتوت هذه الزاوية على مقابر أسرة آل الفكون و من بينهم عبد الكريم الفكون الحفيد.

4 زاوية حنصالة :

تدعى أيضا زاوية النجارين لوقوعها بحي النجارين ، تقام فيها الصلوات الخمس ، و يتم فيها تعليم الأطفال القرءان الكريم ، و من بين مدرسي هذه الزاوية الشيخ عبد المجيد بسطانجي.

¹ أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي ، مرجع سابق ، ص 269 ، 270.

هذا بالإضافة إلى زوايا أخرى عرفت أيضا بكفائها التعليمية ، مثل زاوية التلمساني الواقعة بنهج قسطنطين ، و زاوية نعمان ، و زاوية بن رضوان ، زاوية سيدي المسيد ، زاوية سيدي مخلوف ، زاوية سيدي ميمون ، زاوية سيدي راشد ، زاوية سيدي التلمساني¹.

ثالثا : المدارس

المدارس هي أمكنة خصصت لإلقاء الدروس بها و ال توجد إلا ببعض المدن الكبيرة و الرئيسية مثل مدينة قسنطينة² ، و لقد عرفت مدينة قسنطينة هذا النوع من المنشآت الثقافية قبيل العهد العثماني و كانت أكثر إنتشارا و أكثر أداءا منها خلال التواجد العثماني في المنطقة ، و السبب في هذا أن ولاية قسنطينة لم يشغلو ببناء المدارس ، بإستثناء عهد صالح باي ، فقد وصل عددها مع نهاية العهد العثماني إلى حوالي تسعين مدرسة³.

و قد كانت حركة التعليم في قسنطينة تسير بطريقة عادية ، على الرغم من عدم إهتمام السلطة العثمانية به ، فإن التعليم فيها لم يتعطل ، و حافظت على إرثها الثقافي ، حيث كان فيها العديد من العلماء و الشعراء و المثقفون⁴.

لقد تراوحت أعمار التلاميذ المترددين على المدارس بين السادسة و الرابعة عشر ، و في السن الأخير يكون التلميذ النبيه قد ختم القرآن الكريم ، و تعلم القراءة و الكتابة و قواعد الدين و أولويات الحساب ، و قد يصبح في السنتين الأخيرتين مساعدا للمؤدب في تعليم الأطفال الأصغر منه سنا ، أما ما بعد هذا التعليم ، فيلجأ الطلبة إلى الخارج من أجل المزيد من التعلم ، لأن الجزائر كانت تقتقر إلى المدارس العليا⁵.

و كانت هذه المدارس تعلم العديد من العلوم المختلفة و هي :

1 العلوم الدينية : ونقصد بها العلوم الشرعية ، و هي الدراسات القرآنية و التي كثرت خلال العهد العثماني ، و إنحصر فيها الإنتاج و الإبداع ، لأن هذه العلوم لا تتطلب تجديد بل تكثفي بالتقليد فقط و هذه العلوم تتمثل في :

1 راوية جريدي و آخرون : مرجع سابق ، ص 35 ، 36.

2 محمد بن ميمون الجزائري : مصدر سابق ، ص 59.

3 أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي ، مرجع سابق ، ص 275.

4 راوية جريدي و آخرون : مرجع سابق ، ص 42.

5 أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي ، مرجع سابق ، ص 332.

أ- **التفسير** : من أبرز العلماء الذين تناولوا هذا العلم عبد القادر الراشدي القسنطيني ، فقد كان يعقد مجالس الشورى للتفسير ، و من خلال مواقفه كالرسالة التي ألفها في تحريم شرب الدخان ، و يمكن القول أن تفسيره عرف بعض التجديد على عكس باقي العلماء .

ب- **الحديث** : لقي هذا العلم نوعا من العناية سواء من حيث التدريس أو التأليف أو الرواية ، و قد إعتد بشكل كبير على الحفظ و لا نكاد نجد مدرسا إلا وأجاد في تدريسه أما الأماكن التي درس بها هذا العلم ، فهي جوامع كبيرة و كان لا يتولى إملاء الأحاديث إلا العلماء الكبار و الذين لهم أصوات حسنة.

ج- **المنطق** : الإنتاج في هذا العلم قليل و نادر ، بإستثناء ما قدمه قلة من العلماء أمثال ابن قنفذ القسنطيني ، يعتبر عبد الرحمان الأخضرى من أبرز مؤلفي هذا العلم فقد ظلت أعماله حية و مدروسة ، و من أهم أعماله في هذا المجال ، السلم المرونق ، و دافق على نظرية أنه لا يوجد تناقض بين المنطق و الدين¹.

2 علوم اللغة : لم يكن هناك كثير من التأليف في هذا المجال ، و لكن أهتم رواده على بعض العلوم منه و هي :

أ- **النحو** : و من أبرز من تناوله زيان بن فائد القسنطيني ، و الذي كانت له دراسات في هذا المجال ، و ابن الفكون أيضا ، و من أهم من درس هذا العلم الشيخ محمد تواتي و عاشور الفكيرين ، و الذين تردد عليهم العديد من الطلاب ، من الداخل و من الخارج.

ب- **علم البيان** : و من أهم العلماء الذين برزوا في هذا المجال ، عبد الرحمان الأخضرى و الذي ألف الجوهر المكنون و شرحه بنفسه ، لكنه توفي قبل أن يتم شرحه ، و هناك أيضا أحمد بن مبارك العطار في مؤلفه نزهة العيون².

العلوم الطبيعية و التجريبية : إذا أردنا التحدث عن هذه العلوم من طب و حساب و فلك خلال العهد العثماني ، نلاحظ أنه كان يتم تدريسها في المدارس و لم تحظ بعناية كبيرة كما أنها لم تخرج عن ظاهرة التقليد ، فحلت محل الحساب معلومات سطحية ، عن تعديل و قسمة التراكات ، و حل محل الطب الخرافات و الشعوذة ، و لعل أبرز مثال على العلماء ،

¹ رواية جريدي و آخرون : مرجع سابق ، ص 42 ، 43 .
² أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي (1830-1500) ، ج2 ، دار البصائر ، ط6 ، الجزائر ، 2009 ، ص 157 ، 167 .

عبد الرحمان الأخضرري و الذي ألف نظم خمسمائة بيت سماها الدرة البيضاء و قسمها إلى ثلاث أقسام الأول خاص بالحساب ، و الثاني خاص بقواعد الفرائض و الثالث بالقسمة العلمية للتركات ، و قد شرح هذا التأليف بنفسه¹.

و من أبرز المدارس التي كان لها الصدى الكبير في مدينة قسنطينة نذكر :

أ- المدرسة الأخضرية :

أنشأها صالح باي سنة 1778م ، و أسس لها نظاما حيث كانت تشمل مسجدا و خمسة بيوت إضافة إلى غرفة الدرس ، و كانت طريقة التدريس كالتالي : يدرس المعلم ثلاث دروس في اليوم ، الدرس الأول يبدأ من الصباح إلى الساعة الحادية عشر ، أما الدرس الثاني فمن الظهر إلى العصر ، و الدرس الأخير ما بين العصر و المغرب ، و كان على كل طالب أن يقرأ 4 أحزاب من القرآن الكريم في اليوم الواحد ، حزبين بعد صلاة الفجر ، و حزبين بعد صلاة العصر. و من بين خريجي هذه المدرسة عبد القادر الراشدي المفتي الحنفي ، و شعبان بن جلول قاضي الحنفية ، و الشيخ العياشي قاضي المالكية.

ب- المدرسة الكتانية :

بنيت في عهد صالح باي سنة 1780م ، وهي تقع إلى جانب الجامع الكتاني و قد خصصت لدراسة مختلف العلوم الدينية و الدنيوية ، وفق نظام تعليمي أقامه صالح باي يتعلق بالإقامة داخل المدرسة سواء للطلاب أو المدرسين أو القائمين عليها ، و لعبت هذه المدرسة دورا إشعاعيا فكريا و تربويا بالمدينة².

كما كانت هذه المدرسة بمثابة مستوى التعليم الثانوي و العالي ، حيث كانت تضاهي المدارس الأجنبية المعاصرة لها ، و هي مدرسة لا تزال قائمة إلى اليوم . و لقد غلب عليها الطابع الديني لأن العلوم الأخرى كالتطب و الرياضيات و الكيمياء و الفلك ، كانت متواضعة³ و هذا ما جعل شالر يقول أن باقي العلوم لم تكن موجودة بالجزائر ، و إن وجدت فهي محتقرة.

¹ أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي ج2 : المرجع نفسه ، ص401 ، 405.

² راوية جريدي وآخرون : مرجع سابق ، ص 45 ، 46.

³ سعد الله أبو القاسم : تاريخ الجزائر الثقافي ج1 ، مرجع سابق ، ص 284.

رابعا :المكتبات

لقد عرفت مدينة قسنطينة نوعان من المكتبات ، المكتبات العامة التي أقيمت بجوار المساجد و الزوايا و كذلك المدارس ، حيث كانت مساجد الخطبة تحتوي على خزائن للكتب و التي أوقفت على الطلبة و العلماء ، أم المكتبات الخاصة فكان عددها كثير ، و التي تعود إلى العائلات العلمية التي ذاع صيتها و يرجع ذلك إلى عمرها الطويل .

أما عن محتويات هذه الكتب فكانت معظمها كتب دينية ، في التفسير و الحديث و الفقه أكثر منها أدبية أو علمية و كان الغرض من إنشاء هذه المكتبات هو لخدمة الدين و الثقافة ، و كانت مكتبات قسنطينة خاصة ، تحتوي على كتب المشاركة و الأندلسيين إضافة إلى المؤلفات المحلية¹ ، و من أشهر المكتبات الخاصة في مدينة قسنطينة نذكر :

1- مكتبة الفكون : إشتهرت مكتبة عائلة الفكون بامتلاكها لهذه المكتبة نظرا لنفوذها و عراققتها ، و هي مكتبة ضخمة ، و تعرف باسم حمودة الفكون ، ولقد إحتوت هذه المكتبة على كتب قيمة و نادرة في زمانها ، منها : **الجمان في مختصر أخبار الزمان للشطبي الأندلسي** ، **المعلقات السبع للتبريزي** ، فقد إحتوت على 2500 مجلد و كلها جيدة².

2- مكتبة باش تارزي : تعتبر أقل أهمية من مكتبة الفكون ، و لكنها ضمت أكثر من 500 مخطوط و كان أغلبها في الفقه و الدين ، و ذكر ديسلان الذي كان عاملا بها أنه وجد بها كتابين نادرين هما : **معارف ابن قتيبة** ، **شرح ابن نباتة على ابن زيدون**³.

الأوقاف في مدينة قسنطينة :

شهدت الأوقاف في مدينة قسنطينة إهمالا كبيرا و تقصيرا في تنظيم إدارة الأوقاف في المدينة ، حيث قصر وكلاء الأوقاف في عملهم و على رأسها أوقاف المساجد التي نهب بعضها ، و أغلق بعضها . أما في عهد صالح باي فقد عرفت منحى آخر ، و الذي قام بتنظيم الأملاك ، و رعايتها و ضمان استمرار خدمتها فعمل على تطبيق هذه الأوقاف على أرض الواقع⁴.

¹ رشيدة شكري معمر : مرجع سابق ، ص 6 ، 7.

² أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي ج1 ، مرجع سابق ، ص 290 ، 302.

³ أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي ج1 ، المرجع نفسه ص 305 ، 306 ، 307.

⁴ راوية جريدي و آخرون : مرجع سابق ، ص 55 ، 56.

فلقد قام في البداية بإجراء إحصاء شامل و دقيق بكل ما يتصل بالأوقاف ، و قام بتدوينها في دفاتر للحفاظ عليها ، كما قام بإظهار المخطط العمراني للمدينة . و كان وكلاء المساجد يحاسبون على أوقافها كل ستة أشهر ، و من أشهر الذين كان لهم دور في عملية الوقف في قسنطينة خلال العهد العثماني ، الباي حسن المعروف ببوحنك و رضوان خوجة¹.

¹ سعد الله أبو القاسم : تاريخ الجزائر الثقافي ج 1 ، مرجع سابق ص 236.

المبحث الرابع : العمران في مدينة قسنطينة

أولاً : الأحياء السكنية بمدينة قسنطينة

من علامات التنظيم في المدينة الإسلامية و في مدينة قسنطينة خاصة هو تقسيمها¹ إلى أحياء سكنية كبيرة يحتل كل حي حيز جغرافي بأحد أطراف المدينة و تتكون الأحياء في حد ذاتها من وحدات سكنية التي تأخذ شكلا متراصا على جانبي الشوارع الضيقة ، و لقد تميزت أحياء المدينة بنظافة كبيرة ميزتها عن باقي أحياء الإيالة²، ولقد قسمت مدينة قسنطينة إلى أربع أحياء رئيسية ذات طابع سكني وهي :

حي القصبية : يحتل الجهة الشمالية الغربية من المدينة ، يمر بجانب هذا الحي الطريق الرئيسي الرابط بين الباب الجديد و باب القنطرة³ ، و القصبية ميدان فسيح و هي أكبر من قصبية الجزائر بمقدار النصف ، حيث تحيط بها عدة بنايات و يسكنها المفتي⁴ ، و يحتوي هذا الحي على عدد من الجوامع ، أهمها الجامع الأخضر ، و قد إزدهرت المدينة و أصبح للحي أهمية استراتيجية حيث كان بها سكنات القادة العسكريين خاصة في فترة صالح باي⁵. (أنظر الملحق رقم 08) .

حي الطابية : يقع في الجهة الجنوبية الغربية و بالظبط في جنوب حي القصبية و شمال باب الجديد ، يعتبر أصغر الأحياء مساحة يظم عدة مساجد ، أكبرها سيدي علي بن مخلوف ، بالإضافة إلى وحدات سكنية متلاصقة مع بعضها البعض⁶.

حي القنطرة : يقع حي القنطرة في الجهة الشمالية الشرقية ، يعبره الطريق الرئيسي الذي يربط باب القنطرة بالأبواب الأخرى مما يجعله يكتسب حركة و نشاط دائمين ، يظم عدة مرافق تضمن قضاء الحاجة للسكان دون عناء كالمساجد و الزوايا و الأسواق.

¹ دحوح عبد القادر : مدينة قسنطينة خلال العهد العثماني ، دراسة عمرانية أثرية ، مذكرة لنيل شهادة دكتوراه علوم في الآثار الإسلامية معهد الآثار ، جامعة الجزائر 2009 / 2010 ، ص 212.

² لعروق محمد الهادي و فيلاي عبد العزيز : مرجع سابق ، ص 145.

³ معاشي جميلة : الإنكشارية و المجتمع في بايلك قسنطينة ، مرجع سابق ، ص 63.

⁴ فنديلين شلوصر : مصدر سابق ، ص 75.

⁵ ناصر الدين سعيدوني : وصف مدينة قسنطينة حسب معلومات جديدة للقبطان هيوليت ، مجلة الأصالة ، مطبعة البعث ، قسنطينة ، ع 59 ، 1971 ، ص 98.

⁶ جبيري أيمن و بوياسي مريم ، مرجع سابق ، ص 108.

حي الجابية : يشغل الجهة الجنوبية الشرقية ، يعتبر أكبر الأحياء مساحة و كثافة ، أقيمت مساكنه ، في منحدر صعب شديد الإنحدار على حافة الوادي يظم في وسطه حي السوقية و الزلايقية و رحبة الجمال¹.

المساكن

أ- المنازل:

أما المساكن بمدينة قسنطينة خلال الفترة العثمانية لم تخرج عن النمط العمراني الموروث عن العهود الإسلامية السابقة ، كما تبدو عليها التأثيرات العثمانية ، فالمنازل عبارة عن ديار مربعة و ضخمة من الخارج ، تبنى عادة من الداخل ببناء متميز بالأناقة ، فمعظمها كان بها طابقين ، طابق أرضي توجد به المخازن و الصهاريج و الأقواس القوية التي تحمل المبنى أما باقي البناية فهي عبارة عن طابقين يقعان في شكل دائري حول حوش مفروش بالمرمر ، وفي كل المنازل حوش يتلقى منه المنزل حوش ، و تحتوي معظم المنازل على شقة صغيرة خارج البناية يستقبل رب البيت فيها الزوار².

و يظهر جليا الطابع الإسلامي في مداخل المنازل القسنطينية و هو عدم مواجهتها لبعضها البعض كما أنها تفتح على الأزقة الضيقة بعيدة عن مواجهة الشارع حفاظا على حرمة المنزل ، أما عن النوافذ فقد اختلف عددها من منزل لآخر ، ففي دار الداخنة نجد 10 نوافذ خشبية ، و كذلك دار بن جلول و التي إحتوت على أربعة عشر نافذة موزعة على واجهتين ، كما نجد نوافذ أخرى داخلية تطل على الأروقة و الصحن فنجد في كل غرفة نافذتين مشبكتين بقضبان حديدية من الخارج³.

و تتميز المنازل القسنطينية بركن خاص و هو السقائف ، حيث تتخذ مكانا بارزا في المسكن ، و يتم الوصول إليها بعد المرور من المدخل الرئيسي ، وضعت لاستقبال الضيف الغريب عن الدار ، و هذا ما يظهر جليا في دار بن شريف . و صحن المنزل بني على شكل مربع ، تتوزع خلفه الأروقة و الوحدات السكنية ، مبلطا بالرخام المضلع مثل ما نجده

¹ فندلين شلوصر : مصدر سابق ، ص 73 ، 74.

² وليام شالر : مصدر سابق ، ص 96.

³ حلبي عبد القادر ، مدينة الجزائر نشأتها و تطورها قبل 1830م ، دراسة في جغرافية المدن ، المطبعة العربية لدار الفكر الإسلامي ، الجزائر ، ط 1982م ، ص 222.

في دار الداخلة بنت الباي ، و يعتبر هذا الركن هام جدا فهو فضاء تقضي فيه النساء معظم اليوم بأداء حاجياتها اليومية ، كغسل الثياب و غريلة الدقيق ... إلخ¹.

نماذج من المنازل القسنطينية :

أ- دار الداخلة بنت الباي :

تقع بحي السويقة من الجهة السفلية ، تتكون الدار من ثلاثة طوابق ، و لها واجهتين ، الواجهة الرئيسية منها على المدخل الرئيسي للمنزل (الملحق رقم 09) ، تتميز ببساطة مظهرها ، مبنية بالحجارة الكبيرة و كسيت بالإسمنت المطلي بالدهان الأصفر ، يؤدي المدخل إلى سقيفة مستطيلة الشكل ، و تحتوي على عدة غرف ، و يوجد بالسقيفة سلم صغير يؤدي إلى صحن المنزل و الذي يحتوي على أربعة أروقة تتقدم الوحدات السكنية².

ب- دار بن طبال :

تقع بدرب ميلة الصغيرة ، تتكون من ثلاث طوابق في كل طابق 4 غرف ، فتحت بها فتحات موزعة على ارتفاع الجدران مشكلة 6 نوافذ ، كما يتضح للعيان مدخنة مربعة الشكل ، مبنية بالآجر ، و يتقدم الباب سقيفة خارجية ، يتوسط الدار صحن مربع الشكل ، وللصحن أربعة أروقة تتوضع ورائها الغرف ، كما بلطت أرضيته بالرخام الأبيض ، و في الأروقة فتحت خزانات جدارية³.

ب- القصور :

لقد ترك العثمانيين آثار عمرانية كثيرة لا زالت خالدة الى اليوم ، و قد تميزت بالطابع المعماري الأندلسي الممزوج بنمط العثمانيين الخاص ، حيث إهتم المعمارون بزخرفتها بالنقوش البديعة رسما و كتابة بالعربية و التركية ، و استخدموا فيها الأساليب العمرانية المتطورة من خزف و بلاط و فسيفساء و مرمر و رخام ، و قد تم تصميمها بأشكال هندسية متقنة و لا تكاد تخلو هذه القصور من الحدائق و النافورات⁴.

¹ العياشي هواري : المسكن بمدينة قسنطينة خلال العهد العثماني -دراسة تاريخية أثرية ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التراث و الدراسات الأثرية ، جامعة منتوري ، قسنطينة ، 2010/2011م ، ص 112 ، 113.

² العياشي هواري : المرجع نفسه ، ص 40 ، 42 ، 43.

³ العياشي هواري : المرجع نفسه ، ص 61 ، 62.

⁴ جبيري إيمان و بوياسي مريم : مرجع سابق ص 111.

حيث كانت بها قاعة إنتظار واسعة عند المدخل تؤدي إلى فناء مركزي مع أروقة على طول كل من الجانبين تنتهي إلى حجرات داخلية ، أما الأثاث المتكون من طاولات قصيرة و مخدات ، و كانت الأرضيات تغطي إما بزرايبي الصلاة الأناضولية ، أو الحنايل التركية الجميلة¹.

المراكز الثقافية :

أ- المساجد :

لقد حضيت المساجد القسنطينية بأهمية لدى المعمارين الذين برعو في بنائها و إتقانها من الداخل و الخارج فترينت بالمحاريب و المنابر و القناديل و إزدانت بزخرفتها و رسومها و خطوطها ، و تميزت بصوامعها المرتفعة و صلابتها كونها مبنية بالحجارة الكبيرة و المستقيمة².

و من بين العناصر المتعلقة بالمساجد و عمارتها ، المنابر التي تعتبر تحفا فنية و استعمل في صناعة هذه المنابر مادتا الرخام و الخشب و لكل واحدة منهما خاصيتها التركيبية و تقنياتها الصناعية و الزخرفية ، فهو عبارة عن منصة من حجر أو خشب تتسع لوقوف و جلوس الخطيب و تقع قرب المحراب و تعلوها قبة صغيرة و يصعد إلى المنبر بدرج له درابزين على جانبيه و باب بمصراعين في الأسفل ، ويستعمل هذا المنبر كمكان يرتقي إليه الإمام لإلقاء الخطبة فيكون مرتئيا و مسموعا لجميع المصلين³.

ب- الزوايا :

كان بناء الزاوية يختلف عادة عن بناء المساجد ، فالزاوية غالبا ما جمعت بين هندسة المسجد و المنزل ، وهي في الغالب قصيرة الحيطان منخفضة القباب و العرصات قليلة النوافذ ، و إذا كان للزاوية مسجد فهو في الغالب بدون مؤذنة فالزاوية من الناحية الهندسية غير جميلة ، بالإضافة إلى أنها كثيرة العتمة و الرطوبة .

المنشآت العمومية :

¹ وليام سبنسر : مصدر سابق ، ص 110 ، 111.

² أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي ج2 ، المرجع السابق ، ص 244.

³ جبري إيمان و بوياسي مريم : مرجع سابق ، ص 110.

أ- الحمامات :

معظم الحمامات التي بنيت بقيت محافظة على شكلها و هندستها و وظيفتها ، و بلغ عددها حوالي 20 حماما في المدينة ، و لعل أقدم حمام بناه الأتراك هو حمام ثلاثة الكائن بحي الشط¹ ، و يطلق عليه إسم حمام لهوا ، و كانت هذه الحمامات واسعة و نظيفة ، مضاءة من السقف و مجهزة بالماء البارد و الساخن ، و بها غرف كثيرة للإستحمام ، و غرفة خارجية توضع فيها الثياب². و من أهم الحمامات أيضا حمام دقوج و حمام بولبزايم في شارع الأربعين شريفا.

الأسواق :

أما عن الأسواق فهي عبارة عن مجموعة من حوانيت مصفوفة فيعلوها أحيانا سقف مقبب ، ولها باب محروس يقفل مساء ، و كانت هذه الأسواق مقسمة حسب الحرف مثل الخبازة و الحدادة و الدباغة و الطرازة ، فمدينة قسنطينة كانت تنتشر بها أسواق كثيرة مثل سوق الجمعة الذي تباع فيه الخضر و الفواكه و الألبسة ، و السوق التي تحتوي على المحلات التقليدية.

المقاهي :

تعتبر المقاهي مكان يتيح للأجنبي أن يتعرف على الشعب و يتعلم لغته ، و قد كانت مستطيلة الشكل تغطيها حصائر من سعف النخيل يجلس فوقها الرواد مثل الطريقة الشرقية على أنغام الموسيقى التي لا تخلو كل أيام الأسبوع³.

¹ محمد عثمان : مرجع سابق ، ص 42.

² وليام سبنسر : مصدر سابق ، ص 114 ، 115.

³ جبري إيمان و بوياسي مريم : مرجع سابق ، ص 112 ، 113.

الفصل الثاني

الريف القسنطيني خلال العهد العثماني

المبحث الأول

التركيبة السكانية لمجتمع الريف القسنطيني

المبحث الثاني

الحياة السياسية والاقتصادية في الريف القسنطيني

المبحث الثالث

الحياة الاجتماعية والثقافية في الريف القسنطيني

المبحث الرابع

الأشكال العمرانية في الريف القسنطيني

الفصل الثاني : الريف القسنطيني خلال العهد العثماني

بعد تعرضنا لأحوال العامة للمدينة ، ها نحن الآن أمام وصف عام للأحوال التي سادت في ريف إقليم قسنطينة خلال العهد العثماني ، فالريف القسنطيني لا يختلف على غيره من الأرياف الجزائرية في هذا العهد ، في تركيبته سكانية أو نمطه المعيشي . و لكنه كان متميزا في بعض الأشياء ، لتوفره على بعض المؤهلات التي لم تكن في الأرياف الأخرى .

المبحث الأول : التركيبة السكانية للريف القسنطيني خلال العهد العثماني

لقد تكون الريف القسنطيني طيلة العهد العثماني من مزيج كبير من السكان ، و تفرقوا على عدة قبائل مختلفة . و الملاحظ في الأمر أنه تميزت كل قبيلة بميزات مختلفة عن الأخرى و من أهم القبائل التي كانت مسيطرة على بايلك الشرق قبيلة الذواودة و التي إستقرت بصحراء البايك ، و قد إمتد نفوذها من من سهول قسنطينة و عنابة شرقا إلى مسيلة و سطيف غربا و كانت تحكم هذه القبيلة أسرة بوعكاز ، حيث إتسمت هذه الأسرة بطابعها البدوي ، فكانت تقوم برحلتها الشتاء و الصيف بين الزيبان و الهضاب العليا.

أما الجهة الشرقية فقد سيطرت عليها قبيلة الحنانشة ، و التي ترجع أصولها إلى 3 قبائل و هي الشاوية (الحراكتة و النمامشة) و قبيلة هواره البربرية والعرب الهلالية . فقد وصل نفوذها إلى مدينة تبسة و شرق الأوراس و حتى الزاب جنوبا ، و إلى القالة و عنابة شمالا و يصل إلى شرق مدينة قسنطينة ، و الحنانشة هي قبيلة من مجموعة أسر متحدة إقتصاديا و عسكريا ، و لقد إتخذت هذه القبيلة قلعة سنان الواقعة جنوب وادي السراط مركزا و حصنا لها¹.

¹ جميلة معاشي : الأسر المحلية الحاكمة في بايلك الشرق من القرن 10م (16م) إلى 13م (19م) ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 2014 ، ص 36 ، 37 ، 46 ، 47.

و سيطرت أسرة المقراني* على الجانب الغربي للبايلك ، و إمتد نفوذها من من جبال البابور شمالا حتى الزاب جنوبا و بذلك إقتسمت الزعامة مع كل من أسرة بوعكاز بالجنوب و الحنانشة بالشرق و هي أسرة حديثة العهد مقارنة مع الأسرتين السابقتين ، و السبب في قوتها أنها تأسست على عامل الدين ، فكانت زاوية الأسرة مقصدا للطلاب و العلماء ، و قد عرفت بالشجاعة و الفروسية و القوة العسكرية¹.

كما إستحدث العثمانيون قبائل إصطناعية عسكرية محلية تتكون من عناصر مختلفة عرفت بالزمول ، حيث هجرت هذه القبائل أراضيها و إستقرت بالقرب من البايلك لتكون في خدمته و عرفت بالدواير مثل دائرة الخليفة التي تنشط في نواحي قسنطينة و الخروب و الحامة و أولاد رحمون ، و دائرة الخليفة التي تتكون من 1000 فارس و تنشط في فج مزالة (فرجية)، أم عن أقوى القبائل المخزنية فنجد قبيلة الحراكتة أو قايد العواسي حيث وصلت قوتها إلى 4000 فارس².

و يعود ظهوره هذه الأسر الأولى إلى الفترة الإسلامية التي أعقبت حكم الموحدين ، و حافظ عليها الحكام العثمانيين ، و أعطوها صلاحيات واسعة بهدف القيام بخدمات و مهام كانوا في حاجة إليها ، مثل ضمان الأمن و الاستقرار ، و إستخلاص الجباية من سكان الريف³ .

و بهذا يمكن تقسيم إقليم قسنطينة إلى أربع مناطق حسب موقعها من عاصمة البايلك :

1- **المنطقة الشرقية** : تظم المناطق الواقعة بين قسنطينة و الحدود التونسية ، و تنتشر فيها قبائل قوية أهمها عامر الشراقة ، وادي الزناتي أولاد يحي ، بوطالب ، الحنانشة

¹ المقراني : صفة مشتقة من أمقران البربرية و تعني الكبير ، و يراد بها كبير العائلة أو كبير القوم ، أي القائد أو الرئيس ، أنظر جيبيري إيمان : واقع الحياة الاجتماعية ، ص 39.
جميلة معاشي : المرجع نفسه ، ص 52 ، 57 ، 58 ، 59.

² Rinn L : le royaume d Alger sous le dernier dey, typographie adolphe jourdan imprimeur – libraire – editeur , place du gouvernement . Alger 1900 , p 84 , 85.

³ ناصر الدين سعيدوني : ولايات المغرب العثمانية الجزائر - تونس - طرابلس الغرب ، د.ط ، البصائر للنشر و التوزيع ، د.س ، ص 129.

، و يتكون الحنانشة من الشعانية ، أولاد علي و تيفش و يتكون النمامشة من العمامرة و المعاضلة و تربطهم أحلاف مع الحنانشة بزعامة أسرة الحنانشة¹.

2- **المنطقة الغربية** : تمتد من قسنطينة إلى سلسلة جبال البابور و البيبان و أهم قبائلها من الجنوب إلى الشمال : التلاغمة ، ولاد عبد النور ، العلمة ، عامر الغرابية و مجانة و يسكنها أولاد عياد و أولاد خلوف و هاشم و تخضع جميعها لأسرة المقراني الحاكمة².

3- **المنطقة الشمالية** : و تظم الجبال الممتدة على طول الساحل من عنابة شرقا إلى بجاية غربا و هي موطن القبائل المستقلة مثل : زواغة ، فرجيوة ، ساحل البابور ، و معظم هذه القبائل كانت مستقلة عن الحكم العثماني لا تدفع الضرائب إلى السلطة إلا بالقوة.

4- **المنطقة الجنوبية** : و معظمها صحراء تسكنها 11 قبيلة من الرحل ، تقضي شتاءها بالصحراء و صيفها بالتل ، من أهمها : الزمول ، السقنية ، الحراكطة بالأوراس ، و أولاد سلام بمنطقة بلزمة و أولاد سحنون و كانت الأسرة الحاكمة بالمنطقة هي أسرة بوعكاز من قبيلة الذواودة ، التي سيطرت على مشيخة العرب إلى جانب أسرة بني جلاب بتقرت ، و قد إعتبرت هذه المدينة أقصى حدود البايك الجنوبية ، لأن وادي سوف و ورقلة لم يكن يصل إليها النفوذ العثماني إلا في حالة شن الحملات العسكرية عليها لجمع الضرائب³.

و تنتشر قبائل إقليم مدينة قسنطينة عبر هذه الجهات ، و تخضع للأسر و القبائل القوية ، لكن يمكننا أن نقسم أنواع هذه القبائل عن طريق علاقتها بالسلطة كالاتي:

¹ جميلة معاشي : مرجع سابق ، ص 152.

² Rinn L : op.cit , p 85.

³ جميلة معاشي : مرجع سابق ، ص 153.

- ❖ سكان متعاونون (قبائل المخزن).
 - ❖ سكان خاضعون (قبائل الرعية).
 - ❖ سكان متحالفون (الأحلاف).
 - ❖ سكان ممتنعون (في المناطق النائية و الجبلية).
- و من أهم هذه القبائل نذكر :

أ-قبائل المخزن :

يمكن تعريف قبائل المخزن بأنها مجموعات سكانية لها صبغة فلاحية و إدارية و عسكرية ، فهي لا تعود في أصولها إلى أصل واحد أو نسب مشترك ، بل هي في واقع الأمر تجمعات سكانية ، فمنهم العبيد و الكراغلة و عرب الصحراء و سكان الهضاب و الجبال ، فتعتبر قبائل المخزن حلقة وصل بين الأهالي في الأرياف و الحكام في المدن ، بل أنها أصبحت رابطة متينة تشد المحكوم إلى الحاكم ، و تبقى على تماسك الأوضاع الاجتماعية و الاقتصادية في الريف¹.

حيث كانت تتمركز هذه القبائل بصفة خاصة في :

- الأراضي الزراعية السهلية بالقرب من الأبراج و الحصون و من أشهر قبائل بايلك قسنطينة التي أقامت في هذه المناطق قبيلة الحشم ببرج بوعريريج ، و التي أشرفت على الطريق الرابط بين قسنطينة و الجزائر العاصمة و قبيلة أولاد إبراهيم بالكنطور ، التي تحكمت في الممر الرئيسي من قسنطينة إلى عنابة و سطورة².

¹ ناصر الدين سعيدوني و المهدي بو عبدلي : مرجع سابق، ص 105.

² نجاة نواردة : الإدارة المحلية في بايلك قسنطينة 1520-1830 ، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في تاريخ الجزائر الحديث ، جامعة محمد بوضياف ، المسيلة ، 2018-2019 ، ص 64 ، 65.

- في الأماكن التي كانت تقام بها الأسواق الأسبوعية كسوق العثمانية غرب قسنطينة و بالقرب من دائرة الصحراوية و مخزن بوصول¹.
- بالقرب من الخوانق الجبلية و القناطر الرئيسية و الممرات الصعبة ، مثل ممر رأس العقبة بين قالمة و قسنطينة و الذي كان تحت رقابة دائرة الزناتية².
- قرب الطرق الرئيسية و المعروفة بالسلطانية* ، (أنظر الملحق رقم 10) . و التي كانت تراقبها قبائل الزمالة و الدواير . و في الأماكن التي تتكرر فيها الثورات ، مثل ما قام به أحمد باي في قمع ثورات الأوراس و الهضاب العليا ، و إسكان قبائل الزمول في هذه الأماكن بعدما تم طرد قبائل أولاد عبد النور و أحلافها³.

و قد لعبت هذه القبائل عدة أدوار إقتصادية و عسكرية في الريف ، كونها كانت تستغل جل الأراضي التابعة للبايلك ، بالإضافة إلى المساعدة في عملية جباية الضرائب⁴ . أما دورها العسكري و الإداري ، فقد تمثل في توفير الفرسان لدعم الحاميات بتعزيز الحاميات في خرجاتها و مراقبة الطرقات و النقاط الحساسة⁵ ، و تحكمت في إدارة المناطق التي تحكمها بتوفير الإداريين الذين يسيرون شؤون البايلك ، فكانة بمثابة حلقة وصل بين الأهالي و الحكام ، مساعدين العثمانيين في تغطية نقص تعدادهم. و تحصل هذه القبائل على إمتيازات كثيرة في المقابل كالتمتع بالأمن و الإعفاء من الضرائب⁶ .

ب-قبائل الرعية :

¹ صالح عباد : مرجع سابق ، ص 320.

² ناصر الدين سعيدوني : ورقات جزائرية ، ص 218 ، 219.

* و هي كذلك طريق البايلك أو التي تعود ملكيتها إلى الدولة ، و هي الطريق الرابط بين دار السلطان و باقي الأقاليم.أنظر : مصطفىأحمد ابن حموش ، فقه العمران الإسلامي من خلال الأرشيف العثماني الجزائري 1830/1549م ، ط1 ، دار البحوث للدراسات الإسلامية و إحياء التراث ، دبي ، 2000م ، ص 273.

³ نجاة نواردة : مرجع سابق ، ص 65.

⁴ سنفضل أكثر في مسألة الضرائب لاحقا في الجانب الاقتصادي .

⁵ أرزقي شويتم : مرجع سابق ، ص 167-168.

⁶ ناصر الدين سعيدوني و المهدي البوعبدلي : مرجع سابق ، ص 106-107.

هي أضعف حلقة في سلسلة المجتمع الريفي ، لا يمكنها شق عصا الطاعة لأنها محصورة بين مراقبة قبائل المخزن و تهديد فرق المحلة بهجمات مباغتة ، كما منع عليها أنواع السلاح كسواء البنادق و إقتناء البارود . و قد عاشت هذه القبائل في ظروف صعبة جدا تميزت بالتعاسة و الحرمان و البؤس و في الوقت نفسه كانت مصدر ثروة لبابيك الشرق¹ . فالرعية هم أفراد الشعب الذين يمكن لأهل المخزن إستخدامهم و تجنيدهم في كل وقت ، فهم تحت تصرف أهل المخزن و رهن أوامرهم² .

و قبائل الرعية عملهم الرئيسي هو الزراعة فهم يعملون كخماسين أو أجراء في أراضي الدولة و هم ملزمون بتقديم كل الضرائب و الإلتزام بأوامر السلطة³ ، كما أنها لم تخضع إلى أي إمتيازات و كانت وضعيتها أسوء وضعية⁴ ، حيث كانت تقيم في مناطق نفوذ الإدارة أي بالقرب من الحاميات العسكرية و الأبراج و مدن البابيك⁵.

وما يجعلنا نتساءل هو لماذا قبلت هذه القبائل بهذه الظروف ؟ و لماذا لم تقم بثورات ضد الوضع الذي يعيشونه ؟ الجواب يكمن في الصراعات و الحروب القبلية التي كانت تندلع بين القبائل الريفية بسبب التنافس حول المراعي و نقاط المياه ، و محاولة فرض الوجود ، و غيرها من القضايا ، و هذا ما دفع بها للإستجداد بالإدارة العثمانية و الدخول تحت حمايتها⁶.

وكانت قبائل الرعية تستقر في المناطق السهلية الداخلية ، مثل عين مليلة و ميله و عين بسام و سطيف و واد زناتي و المسيلة و العلمتو في الساحل مثل سكيكدة و عنابة و إيدوغ و من أشهر هذه القبائل نذكر : قبائل عامر الشراقة و عامر الغرابية ، السقنية ، و الدريد أولاد علي ، لعطاطفة و العشائش⁷ .

¹ ناصر الدين سعيدوني و المهدي البوعبدلي : مرجع سابق ، ص 107.

² مبارك بن محمد الهلالي الميللي : تاريخ الجزائر في القديم و الحديث ، ج3 ، دط ، مكتبة النهضة الجزائرية ، الجزائر ، 1964 ، ص 292.

³ ناصر الدين سعيدوني : ولايات المغرب العثمانية الجزائر - تونس - طرابلس الغرب ، مرجع سابق ، ص 130.

⁴ صالح عباد : مرجع سابق ، ص 367.

⁵ الشيماء جوبر و نادية غضبان : المجتمع الريفي و علاقته بالحكم العثماني في الجزائر عهد الدايات 1830/1671م أنموذجا ، مذكرة لنيل شهادة الماستر في تاريخ الجزائر الحديث و المعاصر ، جامعة محمد بوضياف ، المسيلة ، 2016/2017 ، ص 32.

⁶ حمدان خوجة : مصدر سابق ، ص 76.

⁷ جهيدة بوعزيز : الصراعات الداخلية و أثرها على المجتمع الريفي ببابيك الشرق الجزائري في أواخر العهد العثماني ، (1771-1837) ، مذكرة لنيل شهادة ماجستير في التاريخ الحديث ، جامعة قسنطينة 2 ، الجزائر ، 2010/2011 ، ص 28.

ج- القبائل المتحالفة :

هي تلك القبائل التي تتعامل مع البايلك عن طريق شيوخها و زعمائها المحليين الذين أصبحوا بحكم العادة و العرف يتوارثون حكمها معتمدين في ذلك على نفوذهم الديني و كفاءتهم الحربية أو أصالة نسبهم و قد غلب على هذه العائلات التي تولت الحكم في المجموعات القبلية المتحالفة الطابع الروحي ، والطابع الحربي في شرق البلاد.

وبذلك وجد العثمانيين طريقة إدارية محكمة و هي حكم الجزائريين بالجزائريين عن طريق التحالف مع بعض الزعامات المحلية القائمة على أساس قبلي أو ديني لأن أهم سلطة تخضع لها الجزائر خاصة في الريف ، هي سلطة المرابط أو القائد أو الشيخ ، كما لعبت الأسر الحاكمة دورا بارزا في حياة الناس إذ أنهم ملئوا الفراغ في المجتمع الريفي الذي ظل يعيش في عزلة عن الحكومة العثمانية¹ .

لكنهم لم يتمكنوا من القضاء على الحكم التركي لأنهم كانوا متفرقين ، و لم يحاولوا توحيد كلمتهم . و قد أدرك الأتراك هذا الخطر فبذلوا كل ما بوسعهم من أجل إبقائهم متفرقين عن طريق الإغراء و مناورات الحيلولة ، من أجل خلق أحقاد و مشاحنات و صفوف متعاركة .

و من أهم هذه القبائل نذكر أولاد سيد الشيخ ، و الشيخ عمور ، و أولاد المختار ، أسرة بوعكاز² ، أولاد مقران بمجانة ، الحنانشة و النمامشة و الحراكطة و قصر الطين جنوب سطيف ، أولاد بوعزيز ببلزمة ، أولاد بوضياف بالأوراس ، أولاد قاسم بجنوب شرق قسنطينة ، أولاد عاشور بفرجيوة و بني جلاب بتقرت³ .

د- القبائل الممتنعة :

¹ الشيماء جوبر و نادية غضبان : مرجع سابق ، ص38.
² مبارك بن محمد الهلالي الميلي : مرجع سابق ، ص292-293.
³ جهيدة بوعزيز : مرجع سابق ، ص 40.

هي مجموعة القبائل التي تمتنع عن دفع الضرائب و قد ساعدها على ذلك موقعها الجغرافي و تضاريسها ، و كذا بعدها عن مركز الإدارة ، و كان رفضها راجع لطبيعة نشاطها الإقتصادي ، إذ تعتبر أراضيها من أفقر الأراضي مما جعل مواردها الزراعية ضعيفة ، فكان نشاط تلك القبائل مقصور على قليل من الزراعة و تربية المواشي و التجارة و هذا ما جعل إقتصادها نادرا ، بل يلبي إحتياجاتها اليومية فقط¹.

و كانت هذه القبائل تتكون من القبائل القاطنة في المناطق الجبلية و الصحراوية و قد سمح لها موقعها الجغرافي أن تعيش شبه مستقلة عن السلطة الحاكمة ، و تتألف في غالبيتها من لقبائل التي كانت تعيش في المناطق الجبلية و الحصينة كالبابور و جبال شمال قسنطينة و الأوراس ، و استطاعت هذه القبائل أن تتحصن مع الوقت و تمكنت من تحقيق إكتفائها أمنيا و إقتصاديا ، فهي كانت لا تحتاج لأي خدمة من خدمات الدولة العثمانية.

و قد سعى حكام الجزائر إلى إخضاع هذه القبائل أو على الأقل الحد من إستقلالها و إجبارها على مهادنة البايلك معتمدين في ذلك على طرق مختلفة ، بحسب قوة البايلك و قوة القبائل التي يقوم البايلك بدفها إلى الجبال و القفار ، لإن البايلك كان لا يغامر بجيوشه في ملاحقتها ، كما أن الحكومة كانت تقيم حراسة شديدة على الأسواق و تفرض عليها رسوما فيضطر أفراد هذه القبائل أن يرتادوها للحصول على المؤن و بيع منتوجاتها فتكتفي السلطة العثمانية بما يدفعونه من رسوم في هذه الأسواق².

كما كانت تحاصر مناطق تواجدهم بإقامة قبائل مخزنية تراقب تحركاتهم و تمنع إتصالهم بقبائل الرعية مخافة أن يأترو عليها و يدفعونها للثورة ، و يخافون أن يكثر عددها و تصبح

¹ دغموش كاميلية : قبائل الغرب الجزائري بين الاحتلال الإسباني و السلطة العثمانية 1792/1509 ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث ، جامعة وهران ، وهران ، 2014/2013 ، ص118.
² ناصر الدين سعيدوني و المهدي البوعبدلي : مرجع سابق ، ص 109.

خطراً على البايك¹ ، فتلجأ السلطة في هذه الحالة إلى العنف عن طريق تدمير الدشر الحصينة حتى تظطر القبيلة المتمردة إلى المهادنة و الخضوع².

¹ الشيماء جوبر و نادية غضبان : مرجع سابق ، ص43.
² ناصر الدين سعيدوني و المهدي البوعبدلي : مرجع سابق ، ص10.

المبحث الثاني : الحياة السياسية و الاقتصادية في الريف القسنطيني

و كما ذكرنا سابقا ، بالرغم من تعدد القبائل في الأرياف القسنطينية ، و إختلاف توجهاتها و إمتيازاتها ، إلا أن هذه القبائل قد تفاعلت فيما بينها لضمان إستمراريتها ، لا سيما في الجانب السياسي و الاقتصادي ، كما كانت هناك أيضا علاقات أخرى بين القبائل و السلطة العثمانية في هته المجالات . لذلك يمكن القول أنه كانت هناك حياة سياسية و تقسيم إداري يسير شؤون الريف القسنطيني و هذا ما سنتعرف عليه في العنصر الموالي .

أولا : الحياة السياسية :

إن حديثنا عن الحياة السياسية التي سادت في الريف القسنطيني خلال التواجد العثماني في المنطقة ، يستوجب علينا تبيان العلاقة السياسية بين السلطة الحاكمة و الرعايا ، و ذلك بإتباع السياسة التي إعتمد عليها العثمانيون في تسيير شؤون الرعية ، و كذا إبراز التقسيم الإداري الذي مكن السلطة العثمانية في التحكم بالعدد الكبير من القبائل ، دون إهمال العلاقات الخارجية و التي أثرت بشكل كبير على الساحة السياسية في الريف القسنطيني .

تميزت سياسة الحكام العثمانيين في الفترة الأولى بعدم التدخل في شؤون السكان الداخلية، و يعود السبب إلى تخفيف الضغط على الأرياف و الإكتفاء بما يوفره الجهاد البحري ، لكن منذ أواخر القرن السابع عشر 17 ، إنتهج الحكام سياسة ترمي إلى مد نفوذ البايك إلى الجهات الداخلية و إخضاع القبائل الممتعة ، عن طريق إتباع أسلوب القوة بتجاهل رجال الدين و عدم مراعات ظروف و أحوال الأهالي¹ .

و لقد كانت هناك العديد من الثورات في الأرياف القسنطينية كرد فعل على سياسة الحكام العثمانيين و الذين دفعو بهم إلى إتباع بعض الإجراءات للحد من ثوراتهم ومن بين هذه المظاهر نذكر :

¹ ناصر الدين سعيدوني و المهدي البوعبدلي : مرجع سابق ، ص 36.

1- تجريد الحملات العسكرية : عن طريق شن الحملات فحملة بايلك الشرق كانت تنقسم إلى فيلقين أحدهما بقيادة الباي ، يجوب الهضاب العليا و التل الجنوبي ، و الفيلق الآخر يرأسه الخليفة ، و تشن هذه الحملات على القبائل الممتعة و محاولة إخضاعها مثل حملة صالح باي قسنطينة سنة 1788م لإخضاع بني جلاب بتوغرت حيث إضطر أمراء هذه القبيلة للإمتثال لأوامره في الأخير.

2- محاولة الحد من نفوذ رجال القبائل : مما أدى إلى إحداث القطيعة بين الزوايا الدينية و السلطة ، و نشأت بعدها عدة ثورات من تحريض الزوايا و رجال الدين ، و لعل أشهرها ثورة درقاوة و التيجانية ، ففي عهد الباي عصمان بن محمد باي قسنطينة إندلعت ثورة ابن الأحرش بالشمال القسنطيني و كلفت البايلك خسارة فادحة ، قتل من خلالها الباي عصمان في وادي الزهور عام 1804م .

3- تفتيت التكتلات القبلية الكبرى و تشجيع روح العداء بين القبائل : وذلك حتى تبقى الكلمة الأولى و الأخيرة لممثلي البايلك ، و هذا ما أدى إلى إنطواء الأرياف القسنطينية على نفسها و إمتنعت التعامل مع المدن¹.

أما عن موقف الأسر الحاكمة و شيوخ القبائل بأرياف قسنطينة من العثمانيين فقد تنوعت بين قبيلة و أخرى ، ومن بين القبائل التي أيدت الدخول العثماني إلى قسنطينة قبيلتي الذواودة (أسرة بوعكاز) و أسرة الحنانشة . وقد تجلى موقفهما من خلال التعاون الذي أبدوه بينهم حيث إنفقوا على تمويلهم لأفراد الحامية بالمواد الغذائية مقابل تزويدها بالأسلحة² ، بالإضافة إلى العداء الكبير إلى الحفصيين من طرف قبيلة الحنانشة رغم رفضهم للعثمانيين في بادئ الأمر ، و تعبيرا عن ولاءهم أرسل شيوخ القبيلتين العديد من الهدايا للحاكم خير الدين بربروس.

¹ ناصر الدين سعيدوني و المهدي البوعبدلي : مرجع نفسه ، ص 36 ، 37 ، 38 ، 39 ، 40.

² Mouloud gaid :chronique des bey de constantine , p 7.

ومن بين الأسر التي رفضت التواجد العثماني في المنطقة أسرة بن جلاب و أسرة المقراني ، و هذا لرفضهم القاطع بفكرة دفع الضرائب ، ومن بين الأسباب أيضا التحالف المبكر للإخوة بربروس مع أسرة ابن القاضي و أمراء كوكو ، و الذين كانوا أعداء القبيلتين السالفتي الذكر ، حيث جعل العثمانيين ابن القاضي حاكم على منطقة الشرق الجزائري¹.

لكن يمكن القول أن بعض هذه المواقف لم تبقى على حالها ، و لكنها تغيرت مع الوقت و بفعل الظروف المحيطة ، فهناك من القبائل التي سرعان ما رضيت بالتواجد العثماني في المنطقة حفاظا على مصالحها ، و هناك من القبائل التي أرغمت على تقبل ذلك ، و هناك قبائل و هي قليلة لم تبارك العثمانيين و صنفتم فيما بعد من القبائل الممتعة مثل قبيلة أحرار الحنانشة².

التنظيم الإداري في الريف القسنطيني :

لقد قام حكام قسنطينة بوضع مخطط إداري لتسيير شؤون أهالي الريف ، حيث قسموا البايك إلى عدة أجزاء تعرف بالأوطان و يحتوي كل وطن على مجموعة من القبائل و الأعراش و الدواوير ، و كان يعين على كل وطن قائد ، أما الشيوخ فكانو يعينون على القبائل و الدواوير، وكان تقسيم المناطق وفقا لطبيعة القبائل المتواجدة بها ، وقامو بتكليف بعض الموظفين للعمل على تطبيق القوانين و تسيير شؤون هذه القبائل ، ومن بين هؤلاء الموظفين نذكر³ :

أ- الموظفون الذين يقومون بشؤون الأرياف :

1- القيادة : يعينون من طرف الباي و يختارون عادة من الذين سبق لهم العمل العسكري ، توكل لهم إدارة الأوطان عن طريق التواصل مع شيوخ القبائل ، وتختلف أهميتهم باختلاف

¹ جميلة معاشي : مرجع سابق ، ص 124 ، 130 ، 131.

² جميلة معاشي ، المرجع نفسه ، ص 134.

³ أرزقي شويتام : مرجع سابق ، ص 39.

المناطق التي يشرفون عليها ، و هذا ما جعل قياد الحراكته و النمامشة و الحنانشة من أهم موظفي بايلك الشرق¹ .

2- الحكام : يتصرفون في المناطق المحيطة بالمدن ، تتمثل مهامهم في الأعمال الموكلة إلى القياد زيادة إلى إشرافهم على النشاط التجاري و تنظيم الحرف ، و عادة ما يساعدهم في أداء مهامهم مجموعة من الشواش و الموظفين التابعين لهم² .

3- الشيوخ : يوضعون على رأس القبائل و يخضعون مباشرة للقياد ، يكلفون عادة بجمع الضرائب و السهر على الأمن و الإشراف على أمور الأهالي و تنظيم المعاملات في نطاق القبيلة ، من معاملات إجتماعية أو نشاط إقتصادي أو أحكام قضائية ، و عادة ما يختارون من العائلات التي لها نفوذ في البايك ، لأن لها تأثير قوي على الأهالي³ .

و لقد عرف إقليم قسنطينة حوالي 35 شيخا و قائدا و حاكما ، نذكر من بينهم :

شيخ الحنانشة و تحته 12 قبيلة ، شيخ العرب بالزاب (بسكرة) و تحته 11 قبيلة من البدو الرحل ، قائد الحراكته أو قايد العواسي و تحته 32 قبيلة صغيرة تشمل معظم سكان الشاوية ، قائد الحنانشة ، قائد الزمول ، و هي قبائل عسكرية و تحته حوالي 20 قبيلة ، قائد الأوراس و تحته 12 قبيلة ، قائد عامر الشراقة و تحته 6 قبائل ، شيخ الدير او أولاد يحي بن طالب في جهات تبسة ، شيخ بللزمة و تحته 13 قبيلة ، قائد أولاد إبراهيم و تحته 11 قبيلة ، قائد سكيكدة و تحته 9 قبائل ، قائد زارديزا و تحته عدد كبير من سكان القبائل ، شيخ فرجيو و تحته 6 قبائل ، شيخ الزواغة و تحته 4 قبائل ، قائد أولاد عبد النور و تحته 31 قبيلة ، قائد أولاد التلاغمة ، قائد عامر الغرابة و تحته 5 قبائل ، شيخ قصر الطير بريغة ، شيخ أولاد

¹ ناصر الدين سعيدوني : دراسات و أبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني : ص 227
² فلة القشاعي مولودة موساوي : النظام الضريبي بالريف القسنطيني أواخر العهد العثماني 1771-1837 ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث ، جامعة الجزائر ، 1989-1990 ، ص 47.
³ أرزقي شويتام : مرجع سابق ، ص 41.

مقران بمجانة و تحته 13 قبيلة ، قائد أولاد دراج في الحضنة ، قائد تبسة ، قائد ميله ، قائد مسيلة ، قائد زمورة.

ب- الموظفون الذين لهم إتصال مباشر مع السكان :

1- الخليفة : ينوب الباي أثناء غيابه و يقوم بجباية الضرائب الفصلية في الجزائر (الذنوش الصغرى ، ضرائب الخريف و الربيع) ، كما يقوم أيضا بإخضاع الثائرين و المتمردين و معاقبتهم ، ولقد كان الخليفة يعين مباشرة من طرف الداى لأهمية منصبه ¹.

2- آغا الدائرة (آغا العرب) : يعرف عادة بالباش آغا و هو قائد الحامية العسكرية بمركز البايك ، يشرف على فرسان المخزن و فرق الحامية الموجهة لجمع الضرائب ، و هذا ما أكسبه نفوذا حقيقيا بالأرياف و كلمة مسموعة لدى الباى في آن واحد ².

3- الباش مكاهلي : مكلف بتوفير السلاح و الإشراف على الحرس ، وإزدادت أهميته للحاجة إلى تنظيم الدفاع و القيام بالحملة ، و هذا ما خول له حق تولي الإشراف على بعض القبائل .

4- الباش سراج : المكلف بالخيول و الإسطبلات ، له أهمية كبيرة نظرا لزيادة الحاجة إلى الخيل في الحملات ، وكان يخضع له موظفون يعرفون بالسراجين .

5- ناظر الأوقاف : المكلف برعاية الأوقاف أو أراضي الحبس بالأرياف ، مع العلم أن الأرياف كانت تشتمل على أراضي شاسعة و كان السمان يقومون بخدمتها تحت نظر الشواش الذين يستخلصون فائض الإنتاج.

وجد العديد من الموظفين الآخرين و الذين يندرجون تحت هذه الوظائف ، إذ يقلون منهم أهمية ، و لم تكن لهم سلطة فعلية و إنما يعملون على تطبيق قرارات القيادة و شيوخ القبائل

¹ محمد الصالح ابن العنتري : تاريخ قسنطينة ، مصدر سابق ، ص 19 ، 20.

² حمدان بن عثمان خوجة : مصدر سابق ، ص 90.

مثل (قائد الدار ، الخزندار ، الباش فراش ، قائد الزريبة ، الباش طبال ، الباش علام ، قائد السبسي ، قائد السيوانة . . . إلخ) وغيرها من الوظائف التي إنحصرت ضمن نطاق القبيلة¹.

• **المحلة** : يقصد بها الحامية العسكرية التي كانت تجوب الأرياف قصد حفظ الأمن و جباية الضرائب ، و كانت محلة قسنطينة الموسمية حملة فصلية تخرج من عاصمة البايك مرتين في السنة (الربيع و الخريف) و تتكون المحلة من عناصر مختلفة و هي :

أ- **اليولداش** : و هي القوات التركية النظامية التابعة للحامية التي يرسلها الباشا من المدينة ، حيث قدر أحد المؤرخين الأروبيين أن عدد قوات محلة الباي حسين بوقمية سنة 1725م تتكون من 300 تركي مشاة و 800 فارس بالإضافة إلى حوالي 2500 رجل للدعم ، و قال أنه كان يعسكر قرب واد سيقوس جنوب شرق قسنطينة². و عند عودة اليولداش إلى الجزائر محملين بالضرائب ، تمر على كل من المراكز التالية للراحة ، و تعرف باسم القناق ، و هي : بئر البقيرات و ذراع الطبول ، و سكتيف و عين تاغروط ، و سيدي مبارك ، و ذراع لحر و مجانة و حمزة و ذراع البرال ، و الحوش و متيجة وصولاً إلى الجزائر العاصمة³.

ب- **الفرق المخزنية** : تشمل القوات المخزنية كل القوات المحلية الموالية للسلطة المركزية بالبايك ، حيث إستعان العثمانيون منذ وصولهم بفرسان القبائل المسيطرة مثل قبيلة الذواودة و الحنانشة و أولاد مقران ، و هذا مقابل إعتراف السلطة المركزية بسيادتهم على مناطق نفوذهم.

¹ فلة القشاعي مولودة موساوي : النظام الضريبي بالريف القسنطيني أواخر العهد العثماني 1771-1837 ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث ، جامعة الجزائر ، 1989-1990 ، ص 49 ، 50 ، 51 ، 52 .

² جميلة معاشي : الإنكشارية و المجتمع ببايك قسنطينة في نهاية العهد العثماني ، مرجع سابق ، ص 81 ، 82 .

³ محمد صالح ابن العننري : تاريخ قسنطينة ، مصدر سابق ، ص 26 .

حيث بلغت قوة هذه القبائل حوالي 5 آلاف فارس و قد تصل إلى 8 آلاف فارس مجهزين ، و نفس الأمر مع أسرة بوعكاز الذواودة و أسرة أولاد مقران ، و حتى أسرة بن قانة التي يمكن القول انها من إختراع حكام قسنطينة الذين اوصلوها إلى مصاف الأسر النفوذية بمنحها وضيعة شيخ العرب ، بالإضافة إلى الإستعانة حتى بالقوى التي إشتهرت باللصوصية و قطع الطريق مثل قبيلة الشعانبة و السحاري و التي كانت تحت قيادة أسرة ابن قانة .

كما إستحدث العثمانيون قبائل إصطناعية عسكرية عرفت بالزمول ، و هي القبائل التي هجرت أراضيها و إستقرت بالأراضي القريبة من مركز السلطة ، و عرفت بالدواير ، و منها دائرة الخليفة التي تنشط في أحواز قسنطينة ن الخروب ، الحامة و أولاد رحمون ، ودايرة دواير الأغا و التي تنشط في منطقة فح مزالة (فرجيوة)¹.

ومن أشهر النوبات في البايك نذكر : نوبة قسنطينة ، نوبة عنابة ، نوبة بسكرة ، نوبة بجاية ، نوبة تبسة ، نوبة جيجل نوبة برج حمزة (البويرة) . بالإضافة إلى جنود الزمول أو الزمالة الذين يجندون من قبائل المخزن و يعسكرون عادة في عين مليلة بين قسنطينة و باتنة ، و يرأسها قائد يعرف بقائد الزمالة ، و هناك أيضا جنود الدايرة و هم رجال حرب و فرسان ، ينتقون من كل القبائل يرأسهم أغا الدايرة ، يبلغ عدد أفرادها حوالي ألف فارس يعسكرون في عدة أماكن مثل : دايرة الوادي في وادي بوسلا بين عين الخشبة و جميلة ، دايرة السراوية في السرا جنوب ميله ، دايرة وادي زناتي في قرفة².

ج- فرق زاوية : و هي قوات مرتزقة محلية تتكون من أفراد قبيلة زاوية بين وادي يسر و بجاية ، كانت تقدم خدماتها العسكرية مقابل أجور محددة ، و تستدعى عادة لإخماد الثورات ، أو للمشاركة في صد الهجومات الخارجية و ليس لجباية الضرائب ، و قد وصل إنتشارها إلى تونس³.

1 جميلة معاشي : الإنكشارية و المجتمع ، مرجع سابق ، ص 82 ، 83 ، 84.

2 محمد الصالح ابن العنتري : تاريخ قسنطينة ، مصدر سابق ، ص 25 ، 26 .

3 جميلة معاشي : الإنكشارية و المجتمع ، ص 85.

ثانيا : الحياة الاقتصادية :

يعتبر الريف القلب النابض للإقتصاد الجزائري خلال العهد العثماني ، نظرا لما يوفره من ثروات نباتية و حيوانية ، فالنشاط الريفي الاقتصادي ينقسم على حساب نوعية السكان و تضاريسهم ، فسكان السهول يزاولون زراعة الحبوب ، و فلاحي الجبال يشتغلون في البساتين ، و هناك أجراء يعملون في الفحوص ، بالإضافة إلى رعاة السهوب و البدو الرحل¹. و كان الريف القسنطيني من أهم الأرياف آنذاك ، لشاعته و تنوع نشاطاته ، حيث تقوم الحياة الاقتصادية للريف القسنطيني على الفلاحة و الرعي أساسا بالإضافة إلى المهن التقليدية و التبادل المحلي الذي يرتبط بالإنتاج الزراعي و الحيواني².

ومن أهم النشاطات الاقتصادية في الريف القسنطيني :

أولا : الزراعة

تحتل الزراعة مكانة هامة في إقتصاد البايك ، حيث يقول ابن العنثري في كتابه تاريخ قسنطينة " و الحياة الاقتصادية فيه تعتمد على الفلاحة و تربية المواشي أساسا"³، فبالرغم من قلة الإمكانيات ظلت الزراعة هي النشاط الرئيسي بالأرياف و المورد الأساسي لغالبية سكانه ، هذا وقد ساعد على إزدهار الفلاحة و تنوع منتوجاتها و كثرة محاصيلها عدة عوامل في طبيعتها الشروط الطبيعية المتمثلة خاصة في الأحوال المناخية الملائمة و التربة الخصبة و المياه الكافية⁴.

إذ يقول وليام شالر في هذا الشأن " و التربة في هذه المنطقة لم تتدهور و لم تنخفض قيمتها عما كانت عليه في العصور القديمة حين إشتهرت بالخصب ، و هي في بعض الجهات سوداء ، و في جهات أخرى حمراء ، و لكنها في جميع الحالات خصباء حيث أنها

1 ناصر الدين سعيدوني : دراسات و أبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1984 ، ص 351.

2 فلة القشاعي المولودة موساوي : مرجع سابق ص 09.

3 ابن العنثري ، تاريخ قسنطينة : ص 17.

4 فلة القشاعي مولودة موساوي : مرجع سابق ، ص 09.

مشربة بالنيترات . " حيث إشتهر ريف قسنطينة منذ القدم بخصب تربته و زراعته للحبوب بكمية كبيرة و نوعية فريدة¹.

و من أهم منتجات الريف القسنطيني نذكر :

1- الحبوب :

و لقد إشتهرت بها سهول عنابة و سطيف و بجاية و مجانة و نواحي وادي زناتي و قالمة ، بحسب تكون حزاما متصلا يرتكز أساسا في منطقة التل من الحدود التونسية شرقا حتى و حتى نواحي برج بوعريريج غربا حيث تختفي زراعة الحبوب إلى الغرب في منطقة مزينة. هذا و إلى الجنوب من هذا النطاق المتميز بإنتاج القمح خاصة ، تمتد أراضي السباخ التي تلائم تربتها و قلة التساقط بها إنتاج الشعير التي إشتهرت به نواحي الحضنة و جهات الاوراس حيث تمارس أيضا زراعة الحبوب الجافة كالذرة و الذرة البيضاء و الأرز التي تنتشر في واد سيبوز بعنابة و الحامة في ضواحي قسنطينة ، و هذا لتوفرها على كميات كبيرة من المياه². كانت أرياف قسنطينة تنتج أجود أنواع الحبوب ، إذ تعتبر من أهم منتجات البايك ، و كان يباع الصاع منه بحوالي عشرة فرنك ، (أنظر الملحق رقم 11) و يرجع هذا الإزدهار إلى أن قسنطينة تعد منطقة هامة و أنها تسيطر على الهضاب الممتدة و الأرياف³.

و قمح هذه المناطق من النوع الصلب ، و الدقيق الذي يطحن منه يشبه الرمل في مظهره ، و هو صعب للعجن و لكن الخبز الذي يصنع منه لذيذ الطعم . و هذا القمح مشهور في الأسواق الإيطالية و يفضله التجار على جميع أنواع القمح الأخرى ، بسبب جودته لصنع (المقارونة) و غير ذلك من أنواع العجائن⁴ .

¹ وليام شالر : مصدر سابق ص 29.

² فلة القشاعي المولودة موساوي : مرجع سابق ، ص 9 ، 10

³ محمد العربي الزبيري : مرجع سابق ، ص 60.

⁴ وليام شالر : مصدر سابق ، ص 29-30.

ونظرا لأهمية الحبوب لكونها مادة رئيسية للإستهلاك المحلي و التصدير الخارجي ، فقد عملت الدولة جاهدة للسيطرة على المساحات المخصصة لزراعة الحبوب و التي كانت تنتشر حول مدينة قسنطينة ، حيث قدرت مساحة أراضي الحبوب التي يمتلكها البايك بما يعادل 4800 جابدة . و هذه المساحات من الأراضي المستغلة في زراعة الحبوب كانت تمد الدولة بإنتاج ضخم بعضه يستهلك محليا و بعضه يصدر إلى الخارج¹.

2- الأشجار المثمرة :

ارتبطت بالمناطق الجبلية و أراضي الفحوص القريبة من مدينة قسنطينة ، فقد إنتشرت في المناطق الجبلية زراعة أشجار التين و الزيتون و اللوز و البرتقال و الليمون و العنب و الرمان و التفاح و العنب ، وكان الفلاحون يزرعون هذه المزروعات لمعاشهم الخاص و ليس قصد التصدير ، ويبادلون فائض إنتاجهم منها بما يحتاجون من الحبوب ، و قد إشتهر فلاحو الأرياف القسنطينية القاطنين في الجبال بتلقيح الأشجار و إستصلاحها حتى تصبح منتجة ، مما ساعدهم على إستغلال غابات الزيتون البري.

كما تميزت المناطق الصحراوية بزراعة أشجار النخيل التي إشتهرت بها مناطق الزيبان وواد ريغ وواد سوف ، أما المناطق الغابية فقد تميزت هي الأخرى بإنتاج الأخشاب و ذلك بمعالجة أشجار الصنوبر و الفلين و الزان و غيرها و التي تنتشر بالمناطق الجبلية بالساحل أو السفوح الشمالية للأوراس و الحضنة².

3- البقول و الخضروات :

بمختلف أنواعها كالطماطم و الخيار و البصل و البطاطس و الفلفل و البطيخ ، الذي أصبحت هذه المناطق تنتج منه كميات كبيرة توجه إلى أسواق المدن للإستهلاك ، وقد عرفت هذه الخضروات بجودتها العالية نظرا لتوفر المياه و التربة الخصبة³ ، حيث يقول وليام شالر

¹ ناصر الدين سعيدوني ، المهدي البوعبدللي : مرجع سابق ، ص 58.

² فلة القشاعي المولودة موساوي : مرجع سابق ، ص 11.

³ ناصر الدين سعيدوني و المهدي البوعبدللي : مرجع سابق ، ص 59.

في هذا الشأن " ... و النبات ينبت من تلقاء نفسه في كل مكان تتوفر له فيه الفرصة ... و سهول هذا البلد و هضابه الكثيرة خليقة بأن تنتج أرفع أنواع الخضروات لو يتاح لها سكان مجتهدون و يعرفون الزراعة ¹."

و قد إشتهرت بهذه المزروعات السهول الساحلية خاصة نواحي جيجل و القل و عنابة و كذلك فحوص الحامة ، هذا وقد إنتشرت زراعة الخضر و الزعفران و الكمون و الكروية في بطون الأودية بالأوراس و بالواحات الصحراوية ، و قصب السكر بنواحي قسنطينة و عنابة.

4- المزروعات ذات الطابع التجاري :

كالقطن و الكتان و الأرز و التبغ و الزعفران و الكمون و الكروية²، بالإضافة إلى الشمع و العسل ، حيث كان الغرض من هذه المزروعات هو غرض تجاري و كان الريف القسنطيني لا ينتج منه كثيرا بالرغم من غلاء هذه المنتوجات ، و لقيمتها العالية أصبح الديوان يأخذ منها كهدايا للقسنطينية³.

ومن هنا يجب التطرق إلى شيء مهم ألا و هو طبيعة ملكية الأراضي ، و التي تحكمت بشكل كبير في نوعية النشاطات و كذا علاقة السكان المستغلين لهذه الأراضي بأراضيهم ، و من أهم أنواع هذه الملكيات نذكر :

1- الملكيات الخاصة : كان يستغلها أصحابها مباشرة ، و لا يتوجب عليهم إزاء الدولة سوى فريضتي العشر و الزكاة ، و قد كانت تتصف بعدم الاستقرار و بصغر المساحة نظرا لخضوعها لأحكام الوراثة و البيع و الشراء ، و لتعرضها في كثير من الأحيان إلى المصادرة و الحيازة من طرف الحكام و لوقوع أغلبها في المناطق الجبلية المكتضة ، و يكثر الإقبال على إمتلاكها من طرف سكان المدن و موظفي الدولة .

2- ملكيات البايلك : و هي الأراضي التي تعود ملكيتها للدولة مباشرة و يحق للحكام التصرف فيها ، و أغلبها تم إلحاقه بسجلات البايلك عن طريق المصادرة و الشراء و وضع اليد في حالة

¹ وليام شالر : مصدر سابق ، ص 30.

² فلة القشاعي المولودة موساوي : مرجع سابق ، ص 11 ، 12.

³ محمد العربي الزبيري : مرجع سابق ، ص 60.

الشغور أو عند ترحيل السكان المقيمين عليها ، عند إمتناعهم عن دفع المطالب المخزنية أو عصيانهم أوامر القياد و رجال البايك . و كانت تعرف هذه الأراضي بإقليم مدينة قسنطينة باسم العزل و تنتشر على مساحات شاسعة حول مدينة قسنطينة تقدر بستين ألف هكتار .

أما عن طريقة إستغلال الأراضي ، فكان الحكام يستخدمون الخماسة أو يلتجأون إلى تسخير قبائل الرعية " التوية " . و أحيانا تعطى لذوي النفوذ أو المكانة مثل المرابطين أو قبائل المخزن ، مقابل خدمات عسكرية و مهام إدارية و لا تدفع عنها سوى فريضة العشر¹.

3- أراضي العرش (الجماعة) : هي أراضي ملك لكل أفراد الجماعة أو القبيلة . و تتمتع الجماعة الريفية بحق الإنتفاع من الأرض دون إمكانية التصرف فيها بيعا أو كراء أو إستبدالاً أو تحبيسا ، و في المقابل تملك هذه الأراضي الحق المطلق في المحاصيل ، و يمكن توريثها إلى الأبناء أو الإخوة . أما عن إستغلالها فتحدد المساحة لكل أسرة طبقا لإمكانيات عمل أفرادها ، و حتى تضمن الجماعة الريفية عيشها ، تكفل لأفراد الجماعة حرية نمط إستغلال متنوع يجمع بين زراعة الحبوب ، و الخضر و الأشجار المثمرة .

و تجدر الإشارة هنا إلى أن هذه الأراضي تخضع للضريبة العقارية (الغرامة) كل سنة لتحافظ على حقها في الإستغلال و تجنب العمل كخماسين في الملكيات الكبرى التابعة للخواص أو البايك².

4- أراضي الوقف : و هي الأراضي التي حبست للإنفاق على الأعمال الخيرية ، و المؤسسات الدينية و أوكل التصرف فيها لناظر الأوقاف و مساعدين من الوكلاء و الشواش . و قد إنتشرت الأوقاف في أواخر العهد العثماني ، حتى أصبحت تغطي ثلاثة أرباع الأراضي الصالحة للزراعة بالمناطق الخاضعة مباشرة للبايك ، و نظرا للأحكام الشرعية المتعلقة بها و المعاملات القانونية الخاضعة لها ، فإنها لم تكن تخضع لأية ضريبة أو رسم ، و لم تكن تتعرض لأية مصادرة أو حجز من طرف الحكام .

5- أراضي الموات : و هي الأراضي التي تركت بدون إستغلال أو التي كانت غير صالحة للفلاحة و رغم إمكانية إمتلاكها و الإنتفاع بها شريطة إحياءها ، إلا أن الأهالي

¹ ناصر الدين سعيدوني و الهدي البوعبدلي : مرجع سابق ، ص 51 ، 52 .
² ناصر الدين سعيدوني : الحياة الريفية بإقليم مدينة الجزائر ، ص 205 ، 209 .

بالأرياف لم يكونو يقبلون على إستثمارها لا سيما في نهاية العهد العثماني الذي تميز
بإنتشار هذا النوع من الأراضي بعد تحول السكان من ممارسة الفلاحة إلى الرعي¹.

هذا وقد عرف الفلاح القسنطيني الكثير من الظروف الصعبة ، و التي أثرت على
الإنتاج و الحالة الاقتصادية و الاجتماعية في تلك الفترة ، و تتمثل هذه الظروف في الآفات
و الكوارث الطبيعية عامة و الأوبئة و المجاعات و القحط و الجراد ، و إنعدام الأمن و تكرر
الحملة العسكرية و ثقل المطالب المالية . وهذا ما أدى إلى تدهور الحالة الصحية و
المعاشية بالأرياف ، كما أدى تناقص السكان بفعل الأوبئة إلى نقص اليد العاملة فنقص بذلك
الإنتاج الفلاحي و الحيواني².

يقول صالح العنتري في هذا الشأن " فحصلت للناس شدة و مجاعة قد أشرف فيها
الضعفاء على الهلاك ... فإنهم تشتتو عن منازلهم و تفرقو بسبب الهول الواقع في وطنهم
مع الشر و المصائب التي حلت به من قبل من يبس الزرع ، و عدم الحرث ، و نزول
القحط و الفتن ...³.

ثانيا : الرعي و تربية الحيوانات

يشكل المصدر الرئيسي لمعيشة المناطق غير الملائمة للإنتاج الفلاحي ، و هذا ما يجعل
الرعي في المناطق السهبية ن السباخ و الجهات الجنوبية نشاطا إقتصاديا مستقلا بذاته ،
تمارسه عشائر الهضاب العليا و قبائل المناطق المتاخمة للصحراء و يعتبر نشاطا مكملا
للزراعة في المناطق الشمالية و بطون الأودية الخصبة حيث يحتاج الفلاحون هذه الحيوانات
في عمليات الحرث و الدرس و كذا يستعملون فضلاتها كسماد طبيعي لمزروعاتهم . و الهدف

¹ ناصر الدين سعيدوني و المهدي البوعبدلي : مرجع سابق ، ص 53.

² ناصر الدين سعيدوني و المهدي البوعبدلي : مرجع نفسه ، ص 54.

³ صالح العنتري : مجاعات قسنطينة ، تح و تق : رابح بونار ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، د.م ، 1974م ، ص 33 ، 34 .

الرئيسي من تربية المواشي هو لسد حاجتهم من الألبسة الصوفية و الزرابي و الأغطية و الخيام و اللحوم¹.

و من بين الحيوانات التي كان يقبل الفلاحون على تربيتها ، كالأغنام و الماعز و الأبقار و الخيل و البغال و الحمير و التي عرفت بقدرتها على التحمل و التكيف مع مناخات متعددة في مختلف مناطق البايك بالرغم من نقص المراعي و العلف الإحتياطي ، و قد تحكّم في تكاثرها و إستثمارها الجفاف و إنعدام الأمن و إنتشار الأمراض و التنقل الصعب خلال مختلف الفصول².

و للتعرف على أهمية الثروة الحيوانية ، نلاحظ أنه في أوائل العهد العثماني، كان الشرق الجزائري يتوفر على 2310.000 من الأغنام ، و 311.767 من الماعز ، و 346.000 من الأبقار ، و 90.636 من الخيول و 76.723 من البغال ، و 269.086 من الجمال وكانت متوزعة على كل القبائل³.

حيث يقول حمدان خوجة في كتابه المرأة " هؤلاء السكان كانوا يحبون الخيل حبا جنونيا، ولا يفكرون إلا في مضاعفة أعدادها ، و هم يفرقون بين أنواعها و يحفظونها بعناية ، و تستعمل السلالات الوضعية للحصول على البغال ، و هناك سلالات تخصص للحرث و لكن أحسن الأنواع أي الجياد فإنها للسباق و للحرب و لا تباع إلا نادرا ... " ⁴.

و يدلنا إتساع أراضي الأسر الحاكمة أمثال أسرة بوعكاز و المقراني على مدى ضخامة مواشيتها ، و كان زعيم أسرة بوعكاز "الشيخ علي بن السخري بوعكاز " يقوم وحده بنحر 140 جملا أيام الأعياد و المواسم⁵.

1 فلة القشاعي المولودة موساوي : مرجع سابق ، ص 14.

2 ناصر الدين سعيدوني و المهدي البوعبدلي : مرجع سابق ، ص 60.

3 فلة القشاعي المولودة موساوي : مرجع سابق ، ص 15.

4 حمدان خوجة : مصدر سابق ، ص 34.

5 جميلة معاشي : الأسر الحاكمة ، مرجع سابق ، ص 37.

ثالثا : المهن و الصناعات التقليدية

إرتبطت ببعض المناطق دون غيرها ، و إشتهرت بها بعض المناطق التي إكتسبت مهارة و حكمة في معالجة المواد الأولية المتوفرة لتغطية الحاجات الضرورية من ملابس و أدوات منزلية فلاحية بسيطة عكس ما كانت تتميز به الصناعة التقليدية في المدن و لا سيما عاصمة البايك . و لم تكن هذه الصناعة مقصورة على الرجال فقط بل كانت المرأة تساهم في إنتاج قسم كبير من هذه المنتجات¹ .

و كانت الصناعات اليدوية بالأرياف القسنطينية تشتمل على :

- صناعة النسيج التي تميزت بها بعض القبائل مثل قبائل بني عباس التي عرفت بصناعة البرانيس الجيدة ، و هناك بعض القبائل التي أتقنت صناعة الزرابي و الأغطية² .
- صناعة الأدوات الجلدية ، التي إنتشرت هي الأخرى عند القبائل التي تمارس الرعي مثل النمامشة و الحراكتة و أولاد عبد النور . و كان يصنع منها الأحذية و لوازم الخيول³ .
- صناعة الأدوات الحديدية ، إختصت بها القبائل الجبلية ، و عملت هذه القبائل على صناعة الأواني المنزلية و أدوات الفلاحة من سكة المحراث و القادوم و المنجل و الركاب و اللجام ... إلخ .
- صناعة الحلبي و الأسلحة ، إشتهرت بها قبائل بني عباس التي تمكنت من صنع نوع من البنادق مرصع بالفضة و مزين بالمرجان بالإضافة إلى معالجة البارود

¹ أرزقي شويتام : مرجع سابق ، ص 221.

² فلة القشاعي المولودة موساوي : مرجع سابق ، ص 17.

³ وليام شالر : مصدر سابق ، ص 94.

المستخرج من المناجم كما قامو أيضا بصنع نوع من العملة المزورة التي يسهل صرفه في الأسواق الريفية¹.

- معالجة الزيت و صناعة الصابون ، شكلت هي الأخرى نشاطا تقليديا متميزا بالأرياف القسنطينية ، حيث لجأت بعض القبائل إلى تطوير نوع من الصابون عن طريق معالجة بعض النباتات مثل نبات الدفلة² .

- لقد عرف الريف الجزائري كغيره من الأرياف الجزائرية هذه الصناعة منذ القدم ، نظرا لأهميتها الاجتماعية و الإقتصادية ، لهذا فقد كانت معظم القبائل تصنع الأواني الفخارية للإستعمالات اليومية ، و مواد البناء كالقرميد و الآجر و الزليج. و قد تميزت بهذه الصناعة القبائل القاطنة في الجبال ، لتوفر هذه المناطق على المادة الأولية لهذه الصناعة³ .

- معالجة الجبس و الملح و الفحم الخشبي ، التي تشكل نوعا من الصناعة التحويلية موجهة أساسا لتلبية طلبات سكان المدن و إرضاء حاجات سكان الأرياف في نفس الوقت ، فالملح كان يستخرج من التكوينات الملحية من البحيرات المالحة بالهضاب العليا و المعروفة بالسباخ ، أما الأخشاب ، فقد كان يوجه بعض منه إلى بجاية و عنابة لتلبية حاجات البايك لصنع المراكب و معالجة القسم الآخر منها لتحضير الفحم كونه مادة هامة في تلك الفترة ، و قد عرفت هذه العملية بنظام الكراسته الذي إشتهرت به خاصة عائلة المقراني بنواحي بجاية⁴ .

و الملاحظ هنا أن الأرياف القسنطينية كانت تحتوي على العديد من مناجم الحديد و الزنك و الرصاص و النحاس و غيرها من الثروات الطبيعية إلا أن سكان الأرياف لم يتمكنو

¹ أرزقي شويتام : مرجع سابق ، ص 226.

² فلة القشاعي المولودة موساوي : مرجع سابق ص 17 - 18.

³ أرزقي شويتام : مرجع سابق ، ص 227 - 228.

⁴ فندلين شلوصر ، مصدر سابق ، ص 96 - 97.

من إستغلالها و تطويرها ، و ذلك لجهلهم بالطرق و الأساليب التقنية ، و نقص المعدات لذلك¹ .

رابعاً : التبادل التجاري

لقد أطلق بايات قسنطينية حرية التجارة الداخلية لشيخ القبائل و الأسر المحلية الحاكمة ، بل إعتدو عليهم أساساً للإشراف على الأسواق العامة ، فقد كان شيخ العرب يشرف شخصياً على أكبر تظاهرة إقتصادية في البايك و هي المعرض السنوي الذي كان يقام بوادي العثمانية ، و لم يتدخل العثمانيون فيه إلا من خلال تجنيد قبائل المخزن التي تكلف بحفظ الأمن في السوق².

كان يقوم على مبادلة الإنتاج الفلاحي و إقتناء الحاجات الضرورية من الأسواق المنتشرة في الأرياف و التي عن طريقها يتزود سكان الأرياف بما يحتاجونه من سلع و بضائع ، فقد إنتشرت هذه الأسواق في جميع جهات الشرق الجزائري ، إذ كان لكل قبيلة سوقها الخاص ، يقام في أحد أيام الأسبوع و يجتمع فيه أفراد القبيلة و يتوجه إليه رجال القبائل المجاورة لتبادل بضائعهم و إنتاجهم ، وهناك بعض الأسواق اهامة و التي أصبحت مع الوقت تحت سلطة البايك و تخضع للرقابة ، و تستخلص منها الضرائب خاصة القبائل الواقعة بالقرب من المدينة³.

وكانت العديد من الأسواق تعقد في مختلف المناطق الريفية بتشجيع من الإدارة العثمانية ، نظراً لأهميتها الاقتصادية و السياسية ، إذ كانت الأسواق إحدى الوسائل الناجعة التي إعتدها العثمانيون لإخضاع بعض القبائل ، و أخذ الضرائب منها ،ومن أهم الأسواق التي

¹ فلة القشاعي المولودة موساوي : مرجع سابق ، ص 19 .
² جميلة معاشي : الأسر الحاكمة ، مرجع سابق ، ص 197 .
³ فلة القشاعي المولودة موساوي : مرجع سابق ، ص 19 .

إهتمت الإدارة بها و عملت على تنظيمها نذكر: سوق أولاد عبد النور ، و الحراكتة و السقنية ، و تلاغمة ، و أهمها سوق وادي العثمانية¹.

وما ساعد على نمو التبادل التجاري بالأرياف القسنطينية و عمل على تطوره ، هو تكامل الأقاليم الطبيعية التي يتألف منها بايلك قسنطينة فأصبحت كل منطقة تزود المنطقة الأخرى بما تحتاجه ، فالمناطق الساحلية تتوفر على الفواكه و الأخشاب و الزيتون و التين ، و جهات التل تنتج كميات ضخمة من الحبوب على إختلاف أنواعها و إقليم الهضاب يمتلك القطعان الكبيرة من المواشي وواحات الصحراء تنتج التمور² . دون أن ننسى تصدير بعض المنتجات إلى البلاد الأوروبية أو العربية المجاورة ، حيث سيطر على هذه التجارة اليهود و موظفو البايك و المحتكرون الأجانب³.

خامسا : الضرائب

شكلت الضرائب المستخلصة من سكان أرياف قسنطينة مصدرا إقتصاديا رئيسيا و موردا ماليا هاما و أساسيا للجهاز الإداري العثماني و هي في مجمعها تنقسم إلى ثلاثة أقسام حسب طبيعتها القانونية و طريقة إستخلاصها . فهي إما ضرائب إعتيادية أو شرعية كالعشور و الزكاة و ضرائب غير إعتيادية أو مستحدثة و هي مغارم في مجملها مثل اللزمة و الغرامة و المعونة ... ، و ضرائب إدارية مقابل حقوق التولية و رسوم الأسواق و هداياي و عوائد ترضية.

و نشير هنا إلى أن الدولة أولت إهتمامها بالضرائب في الوقت الذي تراجعت فيه عوائد الجهاد البحري ، و شرعت في فرض الضرائب و السهر على جبايتها بكل صرامة و قوة

¹ أرزقي شويتام : مرجع سابق ، ص 236 – 237.

² فلة القشاعي المولودة موساوي : مرجع سابق ، ص 20 – 21.

³ محمد العربي الزبيري : التجارة الخارجية في الشرق الجزائري ، ص 65.

ممكّنين ، كما تعتبر الضرائب العامل الرئيسي في تحديد العلاقة بين السلطة و السكان¹ .
ومن بين أهم الضرائب التي فرضت على الريف القسنطيني نذكر :

1- الضرائب الإعتيادية أو الشرعية :

- **العشور** : يستخلص من الإنتاج الفلاحي من قمح و شعير و تبن و غيره عملا بأحكام الشرع ، وهي تحدد بالمساحة فكان يؤخذ عن كل جابدة صاع من القمح و صاع من الشعير و حمولة من التبن و كانت هذه الضريبة تعرف بضريبة الجبري الذي يحددها قائد العشور ، و تعتبر ضريبة العشور الضريبة الأساسية في بايلك قسنطينة ، كون ثلثي الأراضي الزراعية الخصبة بالببايلك كانت تعتبر ملكيات خاصة.

- **الزكاة** : تؤخذ على قطعان المواشي من أغنام و ماعز و جمال و أبقار كما نصت على ذلك الأحكام الإسلامية التي أسست لها ، و مع أن الزكاة لم تفرض في الشكل المتعارف عليه على سكان الأرياف بل إتخذت نظرا لأوضاع بايلك الشرق² .

2- الضرائب غير الإعتيادية :

- **اللزمة** : و هي ضريبة مماثلة كانت تجبى على رجال القبائل البدو و على المقيمين في الواحات ، و على أولئك المزارعين المقيمين في بلاد القبائل الذين لم تخضع أراضيهم لقياس المحراث و ملكية الأشخاص الذين لم يتركو وصية بعد وفاتهم أو ليس لهم أولاد³ .

- **الغرامة** : هي ضريبة تفرض على القبائل الممتنعة أو البعيدة عن نفوذ الببايلك و هي غالبا ما تكون بأطراف الببايلك ، و هي تؤخذ في معظم الأحيان من المنتوجات

¹ ناصر الدين سعيدوني و المهدي البوعبدلي : مرجع سابق ، ص 30 - 31.

² فلة القشاعي المولودة موساوي : مرجع سابق ، ص 61 - 62 - 63.

³ وليام سبنسر : مصدر سابق ، ص 149 - 150.

المحلية ، و عند الضرورة تسدد نقدا ، و تتنوع بتنوع إنتاج القبائل التي تلزم بدفعها مثل الحيوانات كالماعز و الأغنام و الأبقار و الجمال و الخيل و البغال و المواد الأولية كالعسل و الشمع و الزبدة و الملح.

- **الخطية و الضرائب الخاصة :** و هي تفرض ظرفيا على بعض القبائل ، كدليل على خضوع تلك القبائل لسلطة الباي ، و هي عادة ما تلزم بها القبائل النائرة أو المتمردة عند إخضاعها أو طلبها الأمان عوضا عما صدر عنها من مخالفة وعصيان ، و قد تفرض على بعض الأشخاص في شكل عقاب للمخالفين للقانون، أو دية لمرتكبي الجرائم .

ومن بين الضرائب الخاصة نذكر : **حق العسة ، التويزة ، مهر باشا ، المعونة... إلخ.** هذا وما يلاحظ على الضريبة الخاصة أنها عادة ما تتخفف في حالات الهدنة و السلم.

3- الضرائب ذات الطابع الإداري :

- **حقوق التولية :** ومن أهمها حق البرنوس الذي يدفعه القائد أو شيخ القبيلة ، عند توليته منصبه للباي ، و هو بدوره يخبر أفراد قبيلته بالمساهمة بتغطية نفقات هذه الضريبة ، و هذه المساعدة كانت تعرف باسم حق الفرح تجمع من العائلات مع تخصيص مقدار بسيط لحامل الخبر و الذي يعرف بحق البشارة¹.

- **العوائد و الترضيات و الهدايا :** هي ضرائب متنوعة تقدم عادة بمناسبة حدث هام قد يطرأ بعائلة الباي أو يمس حاشيته و معاونيه ، مثل الولادة و الزواج و الترقية ، وكذلك العوائد التي تقدم في المواسم الدينية مثل حق الكباش في عيد الأضحى .

¹ فلة القشاعي المولودة موساوي : مرجع سابق ، ص66 ، 71 .

بالإضافة إلى ضيفة العادة التي تعتبر مساهمة من الأهالي للباي إعترافاً بسلطته ،
و ضيفة الدنوش و التي تعتبر ضريبة فصلية ترسل إلى الجزائر .

- رسوم الأسواق و حقوق المبادلات بالأرياف : يشرف على إستخلاصها القياد الذين يتولون هذا النشاط مقابل تقديم مبالغ مالية و يحق لهم الإحتفاظ بجزء مما يستخلصونه من الرسوم التي كانت تفرض على كل المواد الموجهة إلى الأسواق.
- **حكور الأراضي الزراعية** : هي عبارة عن رسوم مالية تسدد مقابل كراء الأراضي التابعة للباييك و إستغلالها من طرف بعض القبائل ، و هي نوع من الكراء الطويل الأجل ، و قد وضع هذا النوع من المداخل صالح باي و بقي مطبقاً خاصة في الأراضي المستحوذ عليها عن طريقة المصادرة من القبائل المتمردة¹.

¹ فلة القشاعي المولودة موساوي : المرجع نفسه ، ص 73 ، 75 ، 76.

المبحث الثالث : الحياة الاجتماعية و الثقافية

أولا : الحياة الاجتماعية

لقد أشرنا سابقا بأن مجتمع الريف القسنطيني كان خليطا من أجناس عديدة ، و ينقسم إلى قبائل متعددة¹ ، إلا أنه كان هناك تفاعل كبير بين هته الشرائح - بالرغم من تواجد بعض الصرعات² . هذا التفاعل مكن بايلك الشرق من الإزدهار في مختلف المجالات كونه من أكثر البياليك كثافة ، حيث يقدره وليام شالر ب 25 ألف نسمة³ ، إلا أن هذه الكثافة لم تبقى على حالها نظرا لعدة عوامل .

أ- الأحوال الصحية :

تعد الأحوال الصحية أول مقياس لتحديد الحالة الاجتماعية لمنطقة ما ، لأن الأوبئة و الأمراض من العوامل التي تتسبب في تأخر المجتمع و ضعفه ، نظرا لما تلحقه من أضرار بالقطاعات الاقتصادية و الاجتماعية و النمو الديموغرافي ، و الملاحظ أن هذا العامل قد أثر في الريف القسنطيني بشكل كبير .

الأمراض : لم تكن هناك أمراض خطيرة خلال بدايات العهد العثماني ، فهناك من أرجع ذلك إلى إهتمام الأهالي الشديد بالجانب الصحي ، و إعتنائهم بنظافة ملابسهم و أبدانهم فكانو يغسلون أيديهم قبل إقدامهم على العمل أو أداء الصلاة أو تناول الطعام . كما أنهم يخلعون أحذيتهم قبل الدخول إلى المنزل .

و على الرغم من الإعتناء بالجوانب الصحية فإن سكان الأرياف القاطنين في المناطق السهلية كانوا يتعرضون للحمى نظرا لكثرة إنتشار المستنقعات ، خاصة في فصل الربيع ، عكس المناطق الجبلية التي يتميز جوها بالصفاء⁴ .

و يرجع حمدان خوجة أسباب تعرض المرأة الريفية لأمراض مختلفة إلى قيامها بالأعمال الشاقة إذ يقول " نرى هؤلاء النساء اللاتي لا يتوقفن عن الأشغال ، نراهن قدرات لا يعتنين

¹ أنظر ص 18 (مثال)

² أرزقي شويتام : نهاية الحكم العثماني في الجزائر و عوامل إنهياره 1800-1830 ، دار الكتاب العربي ، ط1 ، الجزائر ، 2011 ، ص 80.

³ وليام شالر : مصدر سابق ، ص 36.

⁴ أرزقي شويتام : المجتمع الجزائري و فعالياته خلال العهد العثماني 1519-1830 ، مرجع سابق ، ص 84 ، 85 ، 86.

بهندامهن و علاجهن عبارة عن نباتات معروفة بنجاحتها لأن السكان هنا لا يعرفون مبادئ التطبيب و بالنسبة إليهم فالطبيعة وحدها هي التي تصنع المعجزات ...¹.

و يرى الأطباء و الرحالة الأروبيون أن الجزائر كانت خالية من الأمراض المعدية ، ولكنها وصلت من خارج البلاد ، بفعل المبادلات التجارية و كذا الحج ، و ما ساعد على الإنتشارها بالإضافة إلى جهل الأهالي بطرق الوقاية و قواعد الصحة ، قلة الأدوية لأن الجزائر كانت تخلو من حوانيت بيع الأدوية .

و من بين معظم الأوبئة التي أمهكت كاهل الجزائريين و غيرت أحوالهم المعيشية نذكر (التيفوس ، الجدري ، الدمامل و السل ، الكوليرا ، الهواء الأصفر ، الحمى الصفراء ، الإلتهابات الرئوية ، وباء البرسام الجاف ، مرض الزهري و الدفتيريا ، الرمد المتقيح ، إلتهاب العيون و العمى ...)².

لقد كان تأثير هذه الأمراض كبيرا على جميع المستويات خاصة في الفترة الأخيرة من الحكم العثماني في الجزائر ، لا سيما على الصعيدين الاجتماعي و الاقتصادي ، فنجد صالح العنتري يذكر في هذا الشأن " فحصلت للناس شدة و مجاعة قد أشرف فيها الضعفاء على الهلاك خصوصا في نواحي القبلة فإنهم تشتتوا عن منازلهم و تفرقوا بسبب الهول الواقع في وطنهم مع الشر و المصائب التي حلت به من قبل من يبس في الزرع ، و عدم الحرث ، و نزول القحط و الفتن ..."³.

أما عن كيفية علاج هذه الامراض ، فنجد أن المجتمع القسنطيني بقي محافظا على الأساليب البدائية في العلاج ، و يرجع ذلك حسب الدكتور شو إلى قلة الأمراض الخطيرة و نجاعة الأدوية البدائية ، فكانو يعالجون الأعضاء المصابة بالبتير أو الكي ، و الحمى بأقراص (الكين كينة) أو عن طريق التحفيز عن إخراج العرق ، و الإضطرابات النفسية بالبخور و التمانم و زيارة الأولياء ، و الجروح الناجمة عن الأسلحة البيضاء ، فكانت تعالج بالزبدة أو

1 حمدان خوجة : مصدر سابق ، ص 36.

2 جبيري إيمان و بوياسي مريم : مرجع سابق ، ص 58 ، 59.

3 صالح العنتري : مصدر سابق ، ص 33.

الصبار . فالبرغم من نجاعة هذه العلاجات إلا أنها أصبحت غير مجدية بعد تطور بعض الأمراض و دخول أمراض جديدة إلى الجزائر¹.

2- الأوبئة : لقد كانت هناك العديد من الأوبئة الخطيرة إلى جانب الأمراض السابقة ، وكان لها أيضا الأثر الكبير على الأهالي ، و نخص بالذكر وباء الطاعون الذي ضرب بايلك الشرق في الكثير من المرات ، و كان يظهر كل 10 سنوات ، و ما يلاحظ عليه أنه ينتشر بكثرة خلال شهر رمضان الذي يكون جسم الإنسان فيه ضعيفا و بالتالي تقل مقاومته للطاعون . و يعتبر طاعون سنوات 1582-1584م أشد و أقوى وباء أصاب المنطقة².

أما عن مصادر هذا الوباء عامة كان من البحر عن طريق الموانئ ، إلا أن الوباء الذي أصاب أرياف قسنطينة كان مصدره الأقطار العربية الإسلامية المجاورة ، نتيجة ركب الحج و المبادلات التجارية³ ، و نلاحظ هنا عدم تدخل السلطة في محاربته و قد إستعملو طريقة الكرانتين quarantaine ، أو الحجر الصحي لكنه كان في الموانئ فقط .

فسكان الأرياف قررو مواجهته بالهروب إلى المناطق البعيدة ، التي لم يصلها الوباء ، إلا أنه إستطاع أن يلحق آثارا إجتماعية كبيرة كالنمو الديموغرافي أي أنه أستطاع أن يبيد قبائل بأكملها ما أدى إلى طرح مشكلة الميراث . كما إظطر بعض الفلاحون إلى مغادرة أراضيهم نهائيا. مثل قبائل القرفية التي غادرت أراضيها جراء مرض الطاعون و أمراض أخرى و لم يبقى منها سوى بني وحابة و أولاد سياسي و أولاد أحمد⁴.

و لم يكن وباء الطاعون الوباء الوحيد بل كانت هناك وباءات أخرى أقل أثرا منه مثل : **الجدي ، الكوليرا ، التيفوس ...**⁵ .

هذا و نضيف إلى سوء الأحوال الصحية ، حدوث الكوارث الطبيعية و تتمثل في الزلازل و الجراد و الفيضانات و الجفاف ، و التي أدت بدورها إلى حصول العديد من المجاعات . فقد عرفت الجزائر سلسلة من الزلازل القوية و التي أدت في معظمها إلى ندرة المياه (لتضرر

¹ للمزيد أنظر : أرزقي شويتام : المجتمع الجزائري و فعالياته خلال العهد العثماني 1519-1830 ، ص 285 ، 286 ، 287 ، 288 .

² بلخوص الدراجي : مرجع سابق ، ص 66.

³ و لقد إنتشر وباء الطاعون بكثرة بالرغم من أن القبائل بعيدة عن بعضها ، لكنه إنتقل بفعل الأسواق الأسبوعية و المعاملات التجارية بين هذه القبائل. أنظر أرزقي شويتام : المجتمع الجزائري و فعالياته ، مرجع سابق ، ص 288.

⁴ جبيري إيمان و بوياسي مريم : مرجع سابق ، ص 56.

⁵ أرزقي شويتام : المجتمع الجزائري و فعالياته خلال العهد العثماني 1519-1830 ، مرجع سابق، ص 298 ، 304.

الأبار و العيون) ، و نلاحظ هنا هجرة كبيرة من المدن إلى الأرياف لتهدم منازلهم و للهروب من أضرار الزلازل.

أما الجراد و الجفاف فهما أيضا تسببا في حدوث المجاعات و نقص المؤن ، و في الغالب يعقب هذه المجاعات إنتشار الأمراض و الأوبئة ، و من أشهر المجاعات التي عرفها البايك ، مجاعة 1579-1580م ، و الذي أودى بحياة كثير من الناس¹.

ب- اللباس :

لا شك في أن العامل الرئيسي المتحكم في طبيعة اللباس هو البيئة الطبيعية و المناخ ، لذلك فباييك قسنطينة كان متنوعا من حيث التضاريس و الأقاليم ، فقد عرف تراثا ثقافيا كبيرا من حيث تنوع الألبسة ، و في ما يلي عرض لطريقة لباس كل منطقة:

1- لباس سكان السهول :

نجد حمدان خوجة يعرض لنا لباس سكان السهول فيقول : " يتدثر الرجال بحائك شائع في أوروبا تربط نهايته إلى الرأس بحبل من وبر يقارب شكله شكل العمامة ، و يلبسون تحته نوعا من القمصان يقال له القندورة ... و يستعمل الأغلبية منهم أحذية متينة ... و تلتف النساء أيضا في نوع من الحايك يصنع من قماش القطن صيفا و من الصوف شتاء ، و يتمنطقن بأحزمة ملونة مصنوعة من الصوف أو من الوبر الجيد ... " ².

و يختص زعماء القبائل و كذا العلماء و الرسميون ، بلبس عمامة صغيرة كعلامة مميزة لهم و هي قطعة شاش من الصوف تزينها الصور و الرموز ، و بالتالي نستنتج دور اللباس في تحديد الفوارق الاجتماعية بين سكان الريف³.

2- لباس سكان المناطق الجبلية :

يصف شلوصر لباس هذه المنطقة بقوله " ... ولباسه قندورة صوفية ، و برنس أبيض متسخ ، و حذاؤه حف من الجلد الخام . و يلف ساقيه حتى الركبة بخرق ، و يربط بها

¹ ناصر الدين سعيدوني و المهدي البوعبدلي : الجزائر في التاريخ العهد العثماني ، ص 89 ، 90.

² حمدان خوجة : مصدر سابق ، ص 31 ، 32 .

³ وليام سبنسر : مصدر سابق ، ص 105.

خفه ، و يضع فوق رأسه قنسوة حمراء متسخة و تحتها قنسوة بيضاء تظهر منها عدة بوصات ... " محاولا مقارنته بسكان السهول خاصة في جانب النظافة¹.

أما عن نساء هذه المنطقة فلباسهن العادي هو الحايك الذي يربط بحزام من الصوف ، و يصل الحايك إلى أسفل الركبتين ، كما تلبس أقراط كبيرة الحجم من الفضة أو النحاس و أساور لليدين و القدمين و سلاسل من المرجان توضع على الصدر.

3- لباس سكان الصحراء :

يلبس سكان الصحراء أقمصة و سراويل قصيرة و معاطف ، و يرتدون فوقها البرنوس ذي اللون الأحمر أو الأزرق . أما المرأة الريفية الصحراوية ، فهي ترتدي أقمصة من نوع جيد و سراويل قصيرة مبتورة مثل الرجال ، و معطف حريري و فوق ذلك عباءة إلى منتصف الساق بذراعين طويلتين². (أنظر الملحق رقم 12)

نلاحظ هنا أن سكان الريف لم يتأثروا بالثقافة العثمانية و لباس الأتراك ، عكس سكان المدينة الذين تأثروا به كثيرا ، متمسكين بعاداتهم و تقاليدهم القديمة ، لأن لباسهم كان يحاكي طبيعة عملهم و يتماشى مع مناخ منطقتهم³.

ج- بعض العادات و التقاليد المتوارثة في الريف القسنطيني :

1- الحياة اليومية :

يستيقظ الريفي القسنطيني باكرا لأداء صلاة الصبح جماعة ، في الهواء الطلق ، ثم يعود إلى النوم من جديد لغاية شروق الشمس ، فيتناول فطور الصباح من كسرة و زبدة أو زيت الزيتون و لبن و تمر و تين جاف . بعد ذلك يباشر أعماله اليومية أو يجلس مع الجماعة و محور حديثهم تربية الماشية أو شؤون السلطة التركية ، و يلتزم بالقيولة خاصة في فصل الصيف بين صلاتي الظهر و العصر و بعدها يسوق خيله و بغاله للشرب و بعدها يقدم لها الحشيش .

¹ فنديلين شلوصر : مصدر سابق ، ص 95.

² بلبروات بن عتو : مرجع سابق ، ص 278 ، 279.

³ وليام سبنسر : مصدر سابق ، ص 105.

يتناول بعدها عشاءه الذي يكون في الغالب الكسكسي و هو جالس على الحصيرة ، ثم يتوجه لأداء صلاة المغرب ، ثم تجتمع العائلة في خيمتها و تشعل النار في وسط الخيمة شتاء¹.

أما عن المرأة فهي تهتم بعملها المنزلي و بماشيتها ، إذ تحلب الأبقار و الأغنام عند صلاة الفجر ثم تمخض الحليب و تهيئ الزبدة ، و بعد تنظيمها للخيمة تسوق الماشية رفقة أطفالها إلى المرعى ، تجلب الحطب الذي قلما يعثر عليه لذا يتم الإكتفاء بفضلات الأغنام المجففة ثم تهيئ الأكل للأسرة كلها .

و في أوقات فراغها تقوم نسج الألبسة أو تقوم بغربلة الطحين ، كما تقوم بمشاركة الحمير و البغال في الأعمال الشاقة² . و كانت المرأة الريفية لا تتدخل في شؤون القبيلة السياسية و الاقتصادية فقد عودها رجل قبيلتها على عدم طرح التساؤلات و لا يحدثها في هذه المواضيع أبدا³.

2- الإحتفالات في الريف القسنطيني :

أ- حفل الختان :

يركب الطفل الذي سيختن فوق دابة في موكب يجوب القرية ، يحفه المحتفلون بالطبل و الناي و هم يرددون مقاطع غنائية ، ثم يبدأ الحفل بالرقص بعد حضور المدعوين إلى بيت الختان ، و بعدها تجمع النقود من طرف شخص يكلف بذلك ، و يضع ما يجمعه تحت رداء يتوسط قاعة الختان و في الأخير تبأعملية الختان الرسمية.

نشير هنا إلى أن الختان في الريف يختلف عن المدينة ، فختان أبناء الريف يتم على يد المرابط ، إذ تعتبر حفلة دينية أكثر منها دنوية ، عكس الحضر الذين يعتبرون حفلة الختان حفلة دنوية لا تختلف عن حفلة العرس⁴.

ب- الإحتفال بالزواج :

1 فنديلين شلوصر : مصدر سابق ، ص 91 ، 92.

2 حمدان خوجة : مصدر سابق ، ص 36.

3 بلبروات بن عتو : مرجع سابق 280.

4 بلبروات بن عتو : مرجع سابق ، ص 281.

عندما يقبل والد العروس طلب العريس يشترط عليه مهرا بالإضافة إلى عدد من العجول و الأبقار و ماشية أخرى ، ولما يتم الاتفاق النهائي بين المتصاهرين ، تساق المواشي المطلوبة إلى خيمة والد العروس ، و عندها يعلن زواج إبنته . فيحضر الأقارب و الأصدقاء إلى حفل الزواج في الخيمة ، و بعدها تمتطي الزوجة ظهر جواد زوجها ، و ترافقها صديقاتها و قريباتها و هن ينشدن ، و عند الوصول يقدم الزوج للزوجة حلبيبا و عسلا ، إشارة إلى خير الأسرة و حلاوة المعاشرة .

ثم تنزل الزوجة على الأرض عند باب خيمة زوجها و يقدم لها هراوة تغرسها في التراب ، إبقاء إلى أنها لا تغادر خيمة زوجها إذا لم يطردها . و نشير هنا إلى أن الزواج الريفي كان يوثق عند شيخ القبيلة على عكس زواج المدينة الذي يوثقه القاضي ، و هذا نظرا لعدم تواجد قاضي في الريف. و ينظم والد الزوجة حفلا على شرف شيخ القبيلة و الحضور الذين يرافقون إبنته¹. (أنظر الملحق رقم 13).

هذين الإحتفاليين كانا الأهم في الأرياف القسنطينية ، بالإضافة إلى العديد من الإحتفالات الأخرى مثل الأعياد الدينية كالعيدين عيد الأضحى و عيد الفطرو كذا المولد النبوي² ، و كذا بعض الإحتفالات الأخرى مثل إحتفال الفروسية³.

و من خلال ما عرضناه من أحوال إجتماعية لمجتمع الريف من خلال بعض النقاط ، يمكننا القول بأن سكان الريف أكثر فقرا من سكان المدينة ، بالرغم من أن سكان الريف هم من يوفرون وسائل العيش - ولا سيما الغذاء- لسكان المدينة بعملهم الكادح ، و هذا راجع في نظرنا إلى تسلط العثمانيين على هذه الفئة ، حيث يقول عثمان خوجة في هذا الشأن: " ... و تأوي هذه المساكن في نفس الوقت النعجة ، و المعزة ، و البغل و الدواجن ، و الكلاب و الرجال و الأطفال و النساء ، كلهم يعيشون مكدمسين في مكان واحد ... و بما أنني لم أعود هذا النمط فإنه كان من المستحيل عل أثناء رحلتي إلى قسنطينة أن أتحمل

¹ بلبروات بن عتو : مرجع نفسه ، ص 282.

² وليام سبنسر : مصدر سابق ، ص 120.

³ بلبروات بن عتو : مرجع سابق ، ص 281.

العيش داخل هذه المساكن بل كنت أفضل النوم في الهواء الطلق على المبيت وسط سفينة نوح ...¹.

و يضيف شلوصر أيضا في وصف فقر الأرياف القسنطينية: "... فإن الأولاد ، و أولاد أولادهم يحتفظون بالثوب الذي حمله أبوهم ما يناهز مائة سنة ، و يرقعونه رقعة رقعة إلى أن يتساقط على الجسم و لا يطرح حتى في هذه الحالة لعدم صلاحيته بل يباع في سوق من الأسواق ..."².

و هذا من بين الأسباب الرئيسية لإنتشار الأمراض و الأوبئة في الريف القسنطيني و إنعدامها في المدينة ، كما يوضح لنا علاقة السلطة مع سكان الريف و المدينة .

ثانيا : الحياة الثقافية

لطالما كانت قسنطينة مركزا هاما للثقافة في الجزائر على مر العصور ، فقد ظلت كذلك خلال التواجد العثماني في المنطقة ، بل وقد تميز ريفها بكثرة مراكزه العلمية و شيوخه و إنجازاته الثقافية و هذا ما سنحاول عرضه .

لقد كان إقبال سكان الأرياف كبيرا لحفظ القرآن و تعلم اللغة العربية و قواعدها ، و هذا سعيًا منهم لأداء فروضهم و واجباتهم الدينية ، خاصة الصلاة ، أما عن الوظائف العلمية فكانت بكثرة في المدينة ، فوجد القاضي و الإمام و المفتي ، وغيرها من الوظائف التي تتطلب مستوى ثقافي عالي³.

1- التعليم :

المعروف عن الدولة العثمانية أنها دولة عسكرية ، لذلك فالسلطة لم تهتم بتاتا بجانب التعليم ، و لكنها لم تعمل على محاربته ، فإذا إنتشر التعليم فهذا لا يعنيتها ، و إذا لم ينتشر فالأمر كذلك⁴.

1 حمدان خوجة : مصدر سابق ، ص 27.

2 فندلين شلوصر : مصدر سابق ، ص 99 ، 100.

3 جبيري إيمان ، بوياسي مريم : مرجع سابق ، ص 101.

4 عمير اوي احميدة : دراسات في تاريخ الجزائر الحديث ، ط2 ، دار الهدى للطباعة و النشر و التوزيع ، الجزائر ، 2004 ، ص 137.

لقد كانت أعمار التلاميذ في الكتاتيب تتراوح بين السادسة و الرابعة عشر ، و يكون التلاميذ المجتهدين في السنة الأخيرة قد ختموا القرآن و تعلم القراءة الكتابة و قواعد الدين و أولويات الحساب ، و يكون عادة قريبا من أهله . بعدها يصبح التلميذ طالبا ، فيختار إما أن يتابع دراسته الثانوية أو يصبح مؤدبا (معلما) ، وإما أن يدخل ميدان التجارة مع أهله أو ينظم للجيش لاحقا ، و عادة أبناء الأغنياء فقط من يواصلون دراستهم .

و كان طلبة أرياف قسنطينة يحصلون على ست و ثلاثون فرنكا كمنحة دراسية ، و عادة ما يتوجهون إلى مدينة قسنطينة لإكمال الدراسة في المساجد¹ . أما عن التعليم العالي ، فلم تكن هناك مؤسسة خاصة لهذا الغرض في الجزائر ، فكان الطلبة عندما ينهون دراستهم الثانوية يسافرون إلى البلدان الإسلامية الأخرى من أجل إكمال دراستهم و الحصول على الإجازات و هم قليلون جدا ، فمنهم من يعود إلى بلده لنشر العلم و في الغالب لا يعودون².

و لقد نقل لنا شالر طريقة التعليم في القرى ، و سماها بنظام الإنكاستر ، حيث أنه كل تلميذ يحمل لوحة يمكن الكتابة عليها و محوها بسهولة ، و هذه الألواح مخصصة لكتابة القرآن الكريم ، و يلقي الدرس تلميذ كبير أو معلم يجلس في مكان مرتفع (سدة) ، و في يده عصا يستعين بها لحفظ النظام و لإثارة إنتباه الطلبة³ .

أما عن تعليم المرأة في هذه الفترة ، بالإضافة إلى تكليفها بالأعمال الشاقة ، قد منعت من تلقي العلم ، و خاصة المرأة الريفية ، و كانوا يعتبرونه عار عليهم⁴ ، لذلك لم يخلد لنا التاريخ أي امرأة ريفية عالمة أو إستطاعت على الأقل أن تدرس القليل بإستثناء زوجات و بنات العلماء في المدينة.

أما عن المعلمين ، فهم على عدة درجات ، إذ يعتبر مؤدبا إذا كان يباشر التعليم الإبتدائي المتصل ، و يعتبر معلم أو مدرس إذا كان يباشر التعليم ما بعد المرحلة الإبتدائية إلى سن العشرين ، و نحوها ، و يعتبر أستاذا أو شيخا إذا كان يدرس أعلى من هذه

1 أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي 1500-1830 ، ج 1 ، ط 1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1998م ، ص 332 ، 333.

2 أرزفي شويتام : مرجع سابق ، ص 335.

3 وليام شالر : مصدر سابق ، ص 82.

4 أبو القاسم سعد الله ، مرجع سابق ، ص 336.

المستويات ، و كان الأهالي هم من يختارونه ، وعلى عكس المدينة فأهل الريف لهم حاجات أخرى في المؤدب ، فهم يستفتونه و يستكتبونه العقود و يلجأون إليه في المشاكل الاجتماعية.

فالمعلمون في الريف يعتبرون موظفين لكنهم غير رسميين ، فأجورهم لم تكن مقيدة بالوقف بل يكتفون بما يدفعه بهم الأهالي من أجور شهرية و هدايا موسمية ، كما عرف على معلمي الأرياف القسنطينية أنهم كانوا متصوفين أي أنهم لا ينتظرون جزاء ولا شكورا من التعليم ، لكنهم كانوا قليلين¹

2- المراكز العلمية :

أ- المساجد :

لقد كانت المساجد في أرياف قسنطينة صرحا ثقافيا بإمّياز ، لعبت الدور الثقافي و الاجتماعي و حتى الاقتصادي ، حيث كان ملتقى العبادة ، و مجمع الأعيان ، و كانت تنتشر حوله المساكن و الأسواق و الكتاتيب ، و كان يبنى المسجد من طرف الأهالي عن طريق تبرعاتهم²

كما كانت تعقد في المسجد عدة حلقات ، و هذا يعني أن المساجد ليست للصلاة فقط ، بل لطلب العلم و للشؤون الاجتماعية (الزواج و الطلاق) ، و تقام فيه المحاكم الشرعية ، و قد تميزت بصغرها مقارنة مع مساجد المدينة³.

ب- الزوايا :

لقد إنتشرت الزوايا في الأرياف القسنطينية أكثر من إنتشار المساجد فيها ، و هذا لقدسيته عند سكان الأرياف ، حيث إهتمت بتعليم القرءان للأطفال ، و تدريس بعض العلوم الدينية و اللغوية من طرف شيوخ هذه الزوايا ، و لعبت دورا هاما في المجالات الأخرى

1 أبو القاسم سعد الله : المرجع نفسه، ص 322 ، 323 ، 326 .

2 أبو القاسم سعد الله : المرجع نفسه ، ص 246.

3 السعدية قمره : الأسر النافذة و دورها الثقافي و الاجتماعي ببابك الشرق الجزائري في العهد العثماني (1830-1518) أسرتي الفكون و المقراني أنموذجا ، مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الحديث و المعاصر ، جامعة محمد بوضياف المسيلة ، 2017-2018م ، ص 31.

حيث عملت على حماية القرءان من النسيان و الضياع ، و عملت على إزالة الفوارق الاجتماعية ، و إنهاء الخلافات و الخصومات بين مختلف الفئات الاجتماعية¹.

و كانت للزاوية في الريف أرض موقوفة يحرثها المسلمون و يعتنون بها و يستعمل إنتاج هذه الأرض في صيانة الزاوية و تغطية أجور المدرسين و معيشة التلاميذ . و لقد كانت لكل زاوية تقريبا ضريحا أو ولدا صالحا ، و كانت محجا للناس لقضاء حوائجهم كالعزاب و الفقراء و المرضى². و من أشهر الزوايا في تلك الفترة نذكر : زاوية بلحملاوي ، زاوية الشقفة و زاوية المنعة³.

ج- الكتابيب :

هي أقل وحدة في التعليم الابتدائي ، فهي المرحلة الأولى التي يمر عليها الطفل في حياته الدراسية ، وظيفتها الأساسية تحفيظ القرءان للأطفال و ترتيله ، و كانت تؤسس منفصلة عن المسجد بغرض المحافظة على نظافته ووقاره . و طريقة التعليم فيها تتم بواسطة الألواح الخشبية المطلية بالصلصال و تكتب بأقلام من القصب و الصمغ مصنوع من صوف الغنم المحروق⁴.

1 حسينة غفصي : المؤسسات الثقافية بمدينة قسنطينة خلال العهد العثماني 1535-1837م ، مذكرة لنيل شهادة الماستر في تاريخ الجزائر الحديث و العاصر ، جامعة محمد بوضياف المسيلة ، 2018/2017 ، ص 30 ، 31.

2 أبو القاسم سعد الله : مرجع سابق ، ص 266 ، 270.

3 ناصر الدين سعيدوني : الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية و الثقافية لولايات الغرب العثمانية (الجزائر ، تونس ، طرابلس الغرب) ، مرجع سابق ، ص 73.

4 حسينة غفصي : مرجع سابق ، ص 35 ، 36.

المبحث الرابع : الأشكال العمرانية في الريف القسنطيني

يعتبر التطور العمراني أهم مقياس لقياس مدى تقدم الأمم ، حيث يعتبر من الحاجات الضرورية لكل أسرة لكي تمارس حياتها الاجتماعية الطبيعية ، و الريف القسنطيني عرف أشكال عمرانية متنوعة ، و هذا لتنوع تضاريسها و أماكن تواجد قبائلها ، وقد كانت عبارة عن قرى متفرقة ، تختلف طريقة بنائهم لمساكنهم ، و على عكس المدينة التي كانت مراكزها الحضارية متشابهة. لكن الملاحظ أن المصادر في هذا الشأن قليلة و نادرة على عكس المدينة ، نظرا لعدم وجود شيء إستثنائي في هذه المساكن ، و لكونها بدائية لا تستهوي الكتاب و المؤرخين.

فكان الجبال يعتمدون على الثروة الغابية في بناءهم لمساكنهم حيث يقول حمدان خوجة في هذا الشأن : " تبني المنازل في القرى الصغيرة أو في الأكفار بالأخشاب و القصب يربط بعضه في بعض و لكل منزل أربعة أوجه ، و تفرش أرضه بنفس مادة البناء ثم يحصن الكل بخليط من الطين و خثي البقر لمنع المياه من التسرب ، و لا يزيد ارتفاع هذا البناء على قامة رجل ... ". و الجيد في هذه القرى أنها منيعة لا يصلها العدو إلا بشق النفس¹.

لكن أغلب هذه البيوت تكون مبنية من الحجارة على الطريقة الأوروبية و تحيط بها الحدائق من كل جهة ، و كانت مساحتها لا تتجاوز الثلاثة أمتار عرضا على أربعة أمتار طولا ، و ليس لها طوابق ، و باب المنزل عريض و ليس بالطويل مفتوح على ساحة داخلية ضيقة و مغطاة ، و سكان هذه البيوت لا يعرفون المدخنة و النوافذ فالضوء لا يدخل إلا من الباب الذي يبقى مفتوحا طول النهار .

يتوسط المنزل المطبخ الذي يجتمع فيه أفراد الأسرة لتناول غذائهم ، و هناك قاعة خاصة لتخزين المواد الغذائية السنوية مثل الشعير و التين و الزيت في قلال فخارية ، و تقع خلف هذه القاعة قاعة أخرى مخصصة لمبيت أبقار الحرت (غير الحلوب) ، و البغال و الماعز و الدواجن ، أما الأغنام فتبيت مع الأسرة².

¹ حمدان خوجة : مصدر سابق ، ص 27 ، 28.
² بلبروات بن عتو : مرجع سابق ، ص 211 ، 212.

وهناك صنف آخر من السكان إختاروا إتخاذ الخيام مكانا لسكنهم ، و هذا وفقا لم تقتضيه حاجتهم ، فهم في الغالب يمارسون الرعي و هم بدو رحل أينما وجدوا الأكل و الماء إرتحلوا ، أما عن مساكنهم فقد وصفها حمدان خوجة بأنها من الوبر و هو قماش مزلع بالأحمر أو بالألوان الأخرى . و تأخذ هذه الخيام شكلها المكور او المثبت بواسطة أوتاد من الخشب و تقاس ثروة المالك بإتساع هذه الخيام و بعدد الأوتاد التي تشدها.

و يضيف قائلاً : " تحاط الخيمة بحجارة توضع عليها الألوان و الذخائر اليومية ، و يخصص جزء منها للمطبخ ، و فيه توجد الطناجر و القدور و هي من الطين لكن الصحون و الملاعق خشبية ... و تربي الدواجن في الخيمة ، و يستعمل لجزء الآخر من الخيمة لاستقبال الضيوف و للإجتماعات الودية ..."¹.

و تجد السكان هنا يعيشون في قرى تعرف باسم الدواوير أو الدوار ، و هو مجموعة من الخيام في رقعة جغرافية ما ، تربط بينهم مصالح مشتركة ، و تخضع لرئيس واحد يحكمها و يسير شؤونها تتوسط خيمته الدوار ، و هي منصوبة بشكل يجعلها ترتفع عن باقي الخيام قصد تمييزها. و تجد كل رب أسرة و مالك لأراضي زراعية يحيط حوله أولاده و أقاربه و حلفائه و عماله².

و هناك صنف آخر و الذي عرف بالقرى الصحراوية ، فقد ورد أنها مبنية كلها بالطوب ، و مساكنها ذات طابق واحد و لا تعلو عليها سوى المنارة أو القلعة ، و كل قرية تعرف باسم الواحة تعج بثمرها و أبارها و دكاكينها المصطفة ، فهي تشبه إلى حد بعيد المدينة لذلك تلقب باسم المدن الصغيرة ، و لكن تختلف عليها في :

لقرية الصحراوية ثابتة في بنيتها العمرانية عكس المدينة ، كما يسير القرية جماعة أو قبيلة قوية عكس المدينة التي يسيرها موظف حكومي ، بالإضافة إلى إختلافهما من حيث الوزن البشري³.

ولم تكن المنازل و المساكن فقط هي المتواجدة في الريف القسنطيني ، بل نجد المراكز الثقافية أيضا تنتشر بكثرة في القرى ، كالمساجد و الزوايا و المكتبات و المدارس ، حيث

¹ حمدان خوجة : مرجع سابق ، ص 33 ، 34 .
² بلبروات بن عتو : مرجع سابق ، ص 215 ، 216 .
³ بلبروات بن عتو ، المرجع نفسه ، ص 212 .

نجد أن مساجد الأرياف كانت متواضعة بالنظر إلى مساجد العثمانيين أو مساجد المدينة ، فهي في الغالب مبنية بالجص أو الجبس أو الحجر ، و قائمة على عرصات ضخمة و صوامع منخفضة ، و ليس فيها من الفرش سوى الحصير أو الزرابي البسيطة مع قليل من الإضاءة و من العناية ، و كانت تحتوي على المحراب و المنبر و الصومعة و قناديل الإضاءة و الماء للوضوء (أو الميضات)¹.

و قد وصفها حمدان خوجة بقوله : " و مساجد هذه القرى مبنية على منوال المساكن بفارق واحد و هو أنها تبيض بالجير ... " و ذلك لقدسيته و مكانتها في المجتمع الريفي بقسنطينة².

لكن إنتشار الزوايا في الأرياف كان أكثر من إنتشار المساجد ، و كان بنائها يختلف عادة عن بناء المسجد ، فالزوايا جمعت بين هندسة المسجد و المنزل ، و هي قصيرة الحيطان ، منخفضة القباب و العرصات ، قليلة النوافذ ، و إذا كان للزاوية مسجد فهو في الغالب بدون مئذنة ، فالزاوية من الناحية الهندسية غير جميلة بالإضافة إلى أنها كثيرة الرطوبة و العتمة ، و شكل الزاوية يوحي بالعزلة و الهدوء أكثر مما يوحي بالحركة و الإختلاط³.

¹ أبو القاسم سعد الله ، مرجع سابق ، ص 254 ، 255.

² حمدان خوجة : مصدر سابق ، ص 28.

³ أبو القاسم سعد الله : مرجع سابق ، ص 269 ، 270.

الخطاطمة

الخاتمة :

من خلال ما تم ذكره حول إقليم قسنطينة ، ومن خلال تحليلنا لما جاء في المصادر المتعلقة بموضوع دراستنا و الذي تناولنا فيه الحياة العامة لمدينة قسنطينة و ريفها و محاولة المقارنة بينهما ، إستطعنا الخروج بمجموعة من الإستنتاجات و هي كالآتي :

بالرغم من إختلاف الفئات الاجتماعية ، إلا أنه كان هناك تكامل كبير بينها ، دون النظر إلى الجنس أو الدين أو المكانة الاجتماعية ، و هذا في نظرنا راجع إلى فطرة الإنسان المبنية على حب البقاء و الإستمرار ، فبتكامل هذه الفئات إستطاعت أن تكون مدينة قسنطينة و ريفها حاضرة من حواضر الجزائر العثمانية.

كان النظام السياسي العثماني في الجزائر قائم على مبدأ عدم التدخل في شؤون السكان ، و هذا راجع لتوجهها العسكري ، فقد عملت في بادئ الأمر على إستمالة شيوخ القبائل و زعماء الأسر الحاكمة أمثال أسرة بوعكاز و الحنانشة .

و رغم قلة عدد الأتراك العثمانيين إلا أنهم إستطاعو التحكم في إقليم مدينة قسنطينة ، عن طريق فرض تقسيم إداري محكم ، و الإستعانة بالعنصر المحلي في تسيير شؤونهم . و الملاحظ على الحكام العثمانيين ، أنهم لم يعملو على تطوير الحياة الحضارية للمدينة و ضواحيها ، إلا القليل منهم أمثال صالح باي.

لقد كان هناك تكامل كبير بين الريف و المدينة في إقليم قسنطينة إقتصاديا و ثقافيا ، فقد كان الريف ينتج و يصنع عن طريق الزراعة و الصناعات التقليدية ، و تقوم المدينة بتسويق و إستهلاك هذه المنتجات عبر أسواقها ، إلا أنه كان هناك فرق شاسع في المستوى المعيشي ، إذ كان سكان الريف فقراء لدرجة كبيرة و يظهر ذلك من خلال لباسهم و مساكنهم و أكلهم ، على عكس سكان المدينة .

لقد كانت الحياة الاقتصادية رائجة في مدينة قسنطينة و ذلك حسب رأينا يرجع إلى إزدهار التجارة بها لموقعها الإستراتيجي الهام ، حيث كانت تقع في الطريق التجاري ، فتمر عليها القوافل و تتوقف لتستريح هناك و تبادل سلعها أيضا ، بالإضافة إلى ركب الحج الذي

يدر بالكثير على الإقليم ، دون أن ننسى أيضا كثرة الأسواق المحلية و الجهوية . هذا الإزدهار أدى بدوره إلى إزدهار الصناعة و القطاعات الأخرى.

الملاحظ على المجتمع القسنطيني أنه كان مجتمع محافظ ، متمسك بالعقيدة الإسلامية و يتجلى ذلك في عاداتهم و تقاليدهم الخاصة ، و أعيادهم الدينية التي يقدسونها و يعطونها مكانة مرموقة ، كما أعطى هذا المجتمع للمرأة مكانة خاصة و لم تستبعد مقارنة بالمجتمعات الأخرى ، و تم إشراكها في الحياة العامة ، فكانت تشارك في رفع الاقتصاد عن طريق الصناعات التقليدية كالنسيج و الحياكة .

لكن هذا الإنتعاش و الإزدهار الاقتصادي أثر على قسنطينة بالسلب ، فقد كانت الأحوال الصحية بها متدهورة من حين لآخر ، نتيجة القوافل التجارية التي تنقل الأمراض بالإضافة إلى الأسواق العامة و التنقلات الداخلية و الخارجية .

تعتبر مدينة قسنطينة حاضرا من الحواضر العلمية و الثقافية البارزة خلال العهد العثماني ، لإحتوائها على مراكز ثقافية كثيرة وهامة ، و لكثرة العلماء بها أيضا ، و قد تميزت مدارس مدينة قسنطينة عن غيرها من المدن في تلك الفترة و التي كانت تضاهي مدارس التعليم العالي في الحواضر الإسلامية و الأوروبية .

تميزت قسنطينة بنمط عمراي فريد من نوعه ، كونها مبنية فوق صخرتين تربطهما العديد من الجسور المعلقة ، و هذا لتنوع الثقافات العمرانية في المنطقة ، بدءا بالثقافة الإسلامية العريقة و إمتزاجها بالطابع الأندلسي و العثماني لاحقا ، ليتشكل لنا نمط جديد مميز عن باقي الأنماط الأخرى.

لقد عرفت القبائل الريفية القسنطينية تماسك و إنسجام كبيرين و هذا بوقوفهم متحدين ضد السلطة العثمانية خاصة في بداية التواجد العثماني ، مما دفع بالعثمانيين إلى ضرورة التعامل معهم و منحهم بعض الإمتيازات من أجل الخضوع لهم و قضاء مصالحهم .

هناك إختلاف كبير بين علاقة السلطة مع المدينة و مع الريف ، فعلاقتها مع الريف كانت علاقة إستغلال و إستنزاف للثروات و عمليات إستغلال للسكان على عكس المدينة التي كانت علاقتها بالسلطة طيبة إلى حد ما ، و خير دليل على ذلك هو إندلاع الثورات

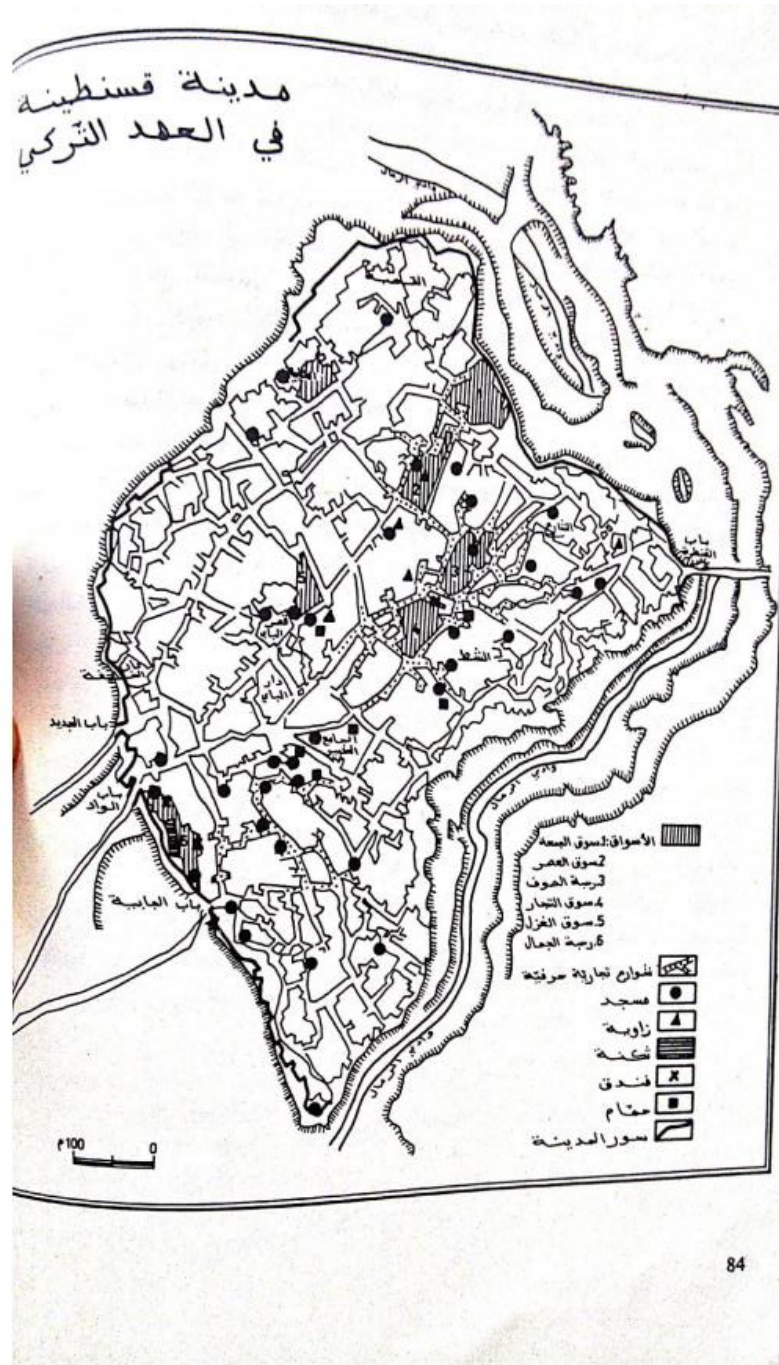
في الأرياف فقط و لم تتدلع إي ثورة في المدينة ، لذلك قامت السلطة بتجريد الحملات العسكرية من السلاح في الأرياف ، ووضعت حدا لنفوذ رجال الدين و القبائل ، و لقد إستطاعو فعل ذلك بفعل التنظيم الإداري المحكم ، و بسيطرتهم على شيوخ القبائل .

يعتبر الريف القلب النابض لإقتصاد الإقليم نظرا لما يوفره من ثروات نباتية و حيوانية ، كون الريف القسنطيني من أخصب الأرياف في الجزائر في الجزائر ، و إشتهر بإنتاجه للحبوب بمختلف أنواعها ، بالإضافة إلى تربية المواشي كنشاط رئيسي .

لقد كانت الضرائب مصدر دخل رئيسي لتمويل خزينة البلاد ، خاصة بعد تراجع مداخيل الجهاد البحري ، و كان الريف هو الممول الرئيسي لهذه الضرائب ، فكانت تفرض على سكانه العديد من الضرائب المجحفة ، الشرعية منها و الغير شرعية ، على عكس المدينة و التي لم تساهم إلا بضرائب قليلة محددة .

و في الختام نرجو أن نكون قد أفدنا و لو بالقليل في هذا المجال ، بالحديث عن إقليم قسنطينة ، من أشهر الأقاليم في الجزائر خلال العهد العثماني ، و نتمنى أن نكون قد أضفنا شيئا بسيطا للكتابات التاريخية التي كتبت عن نفس الموضوع .

اللا حقيق



Scanned by CamScanner

خريطة توضح مدينة قسطنطينة خلال العهد العثماني¹

¹ محمد الهادي لعروق : مرجع سابق ، ص 84.

الملحق رقم : 02

الترتيب	النسبة	الرجال	النساء	المجموع
01	ابن نعمون	07	00	07
02	ابن جلول	04	00	04
03	ابن العطار	01	00	01
04	ابن زكري	03	01	04
05	ابن الفكون	02	01	03
06	ابن المسيح	02	01	03
07	ابن محجوبة	01	01	02
08	ابن باديس	01	00	01
09	عبد المؤمن	00	00	00

بعض العائلات الحضرية من خلال سجلات الزواج و الطلاق¹

¹ جبيري إيمان و بوياسي مريم : واقع الحياة الاجتماعية ، مرجع سابق ، ص 46.

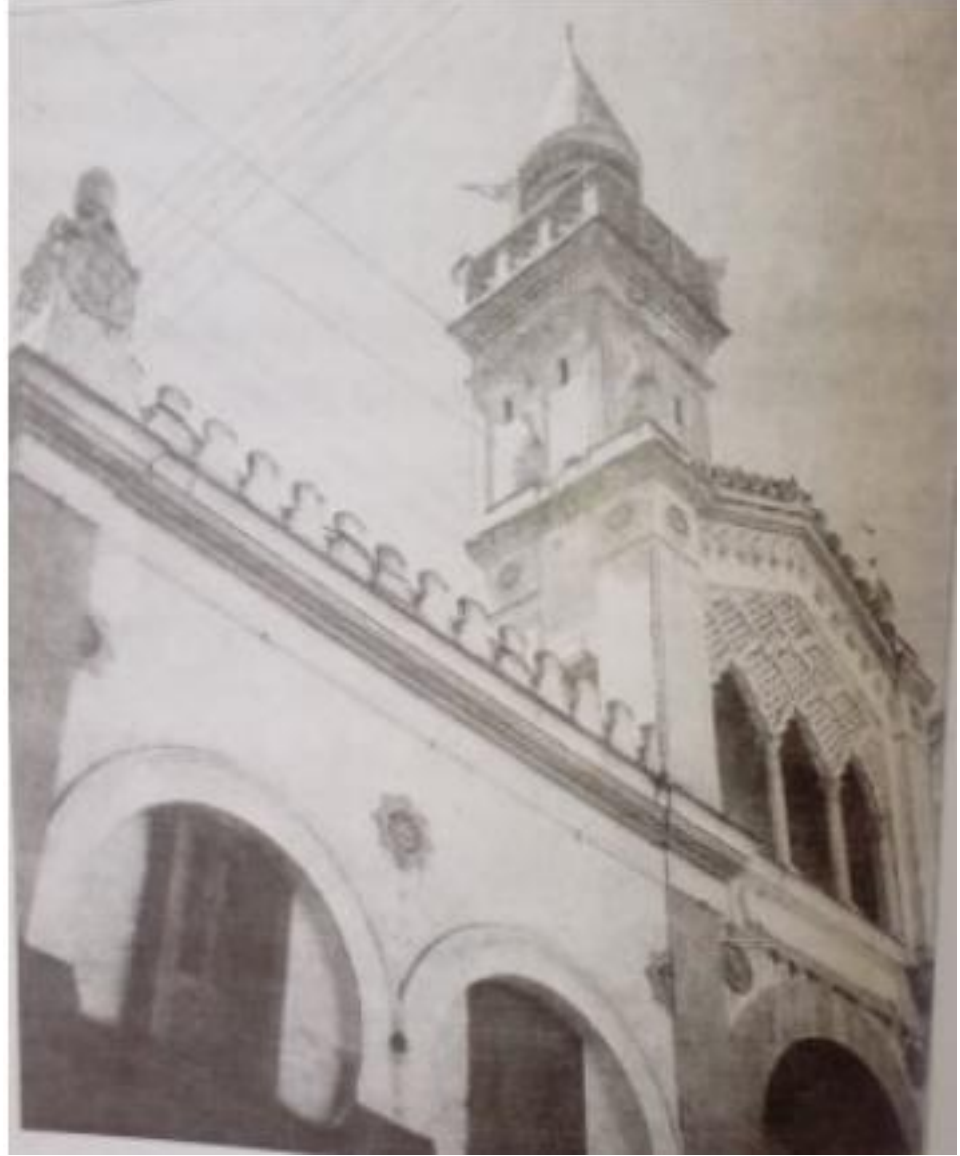
الملحق رقم : 03



صورة لبعض الحلي التي كانت تضعها النساء القسطنطينيات في المناسبات خلال العهد العثماني¹

¹ جبيري إيمان و بوياسي مريم : المرجع نفسه ، ص 193.

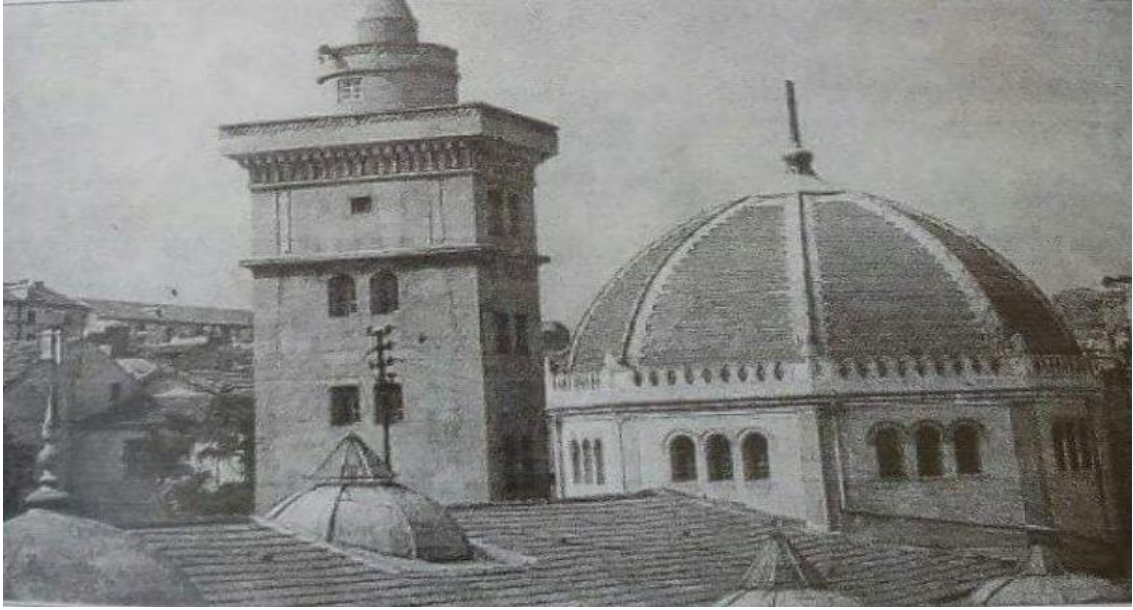
الملحق رقم : 04



صورة الجامع الكبير بقسنطينة¹

¹ بوجلال نصيرة : مرجع سابق ، ص 176

الملحق رقم : 05



حسن باي (سوق الغزل)¹

¹ حسينة غفصي : مرجع سابق ، ص 72.

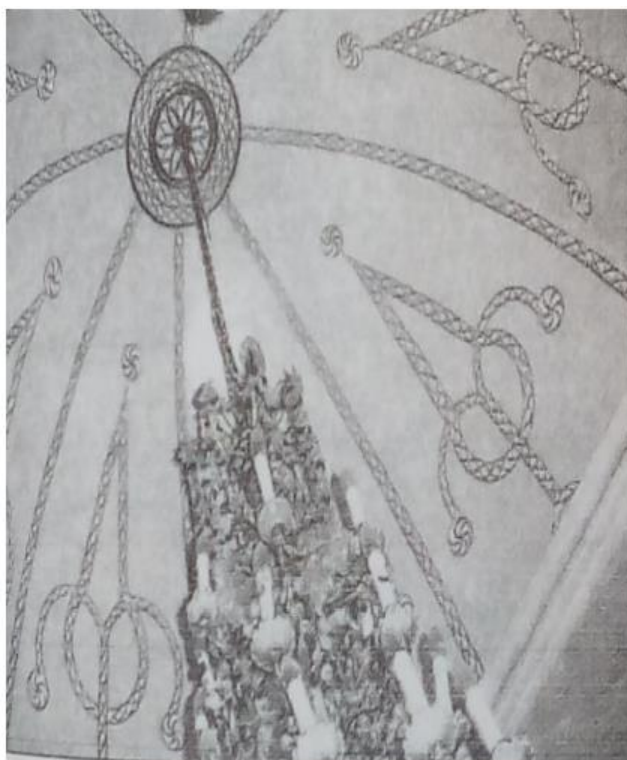
الملحق رقم : 06



جامع سيدي الكتاني¹

¹ حسينة غفصي : المرجع نفسه ، ص 72.

الملحق رقم : 07



قبة و محراب زاوية باش تارزي¹

¹ حسينة غفصي : المرجع نفسه ، ص 74.



صورة لباب القسبة بمدينة قسنطينة خلال العهد العثماني¹

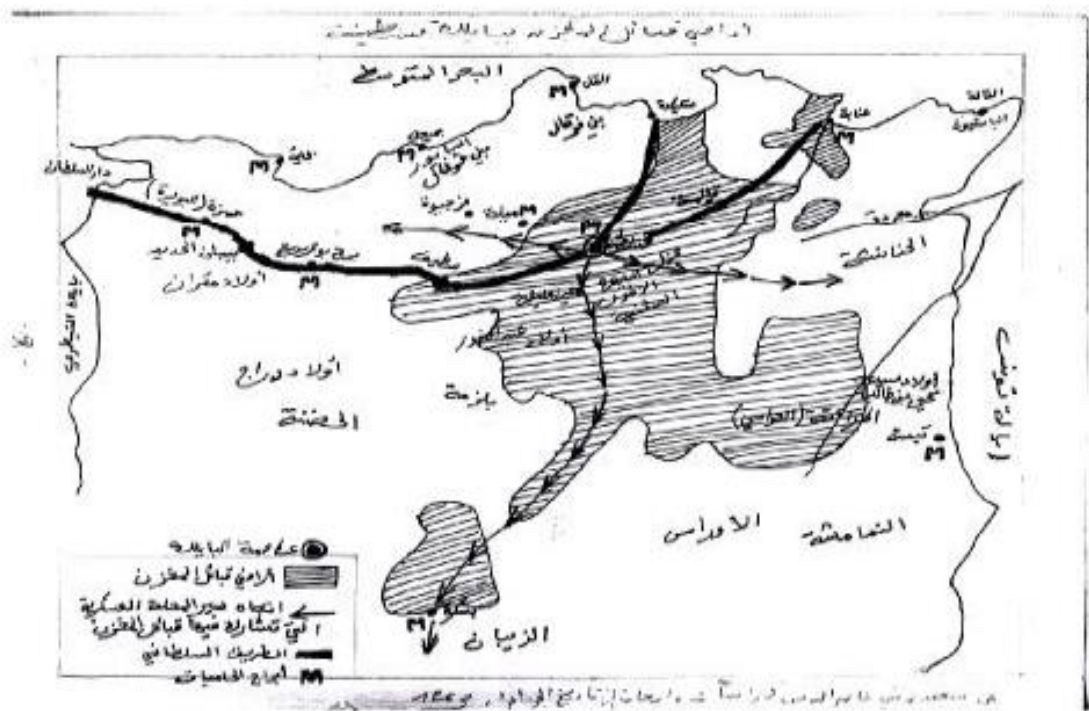
¹ جميلة معاشي : الإنكشارية و المجتمع ، مرجع سابق ، ص 63.



المدخل الرئيسي لدار الداخة¹

¹ العياشي هوري : مرجع سابق ، ص 164.

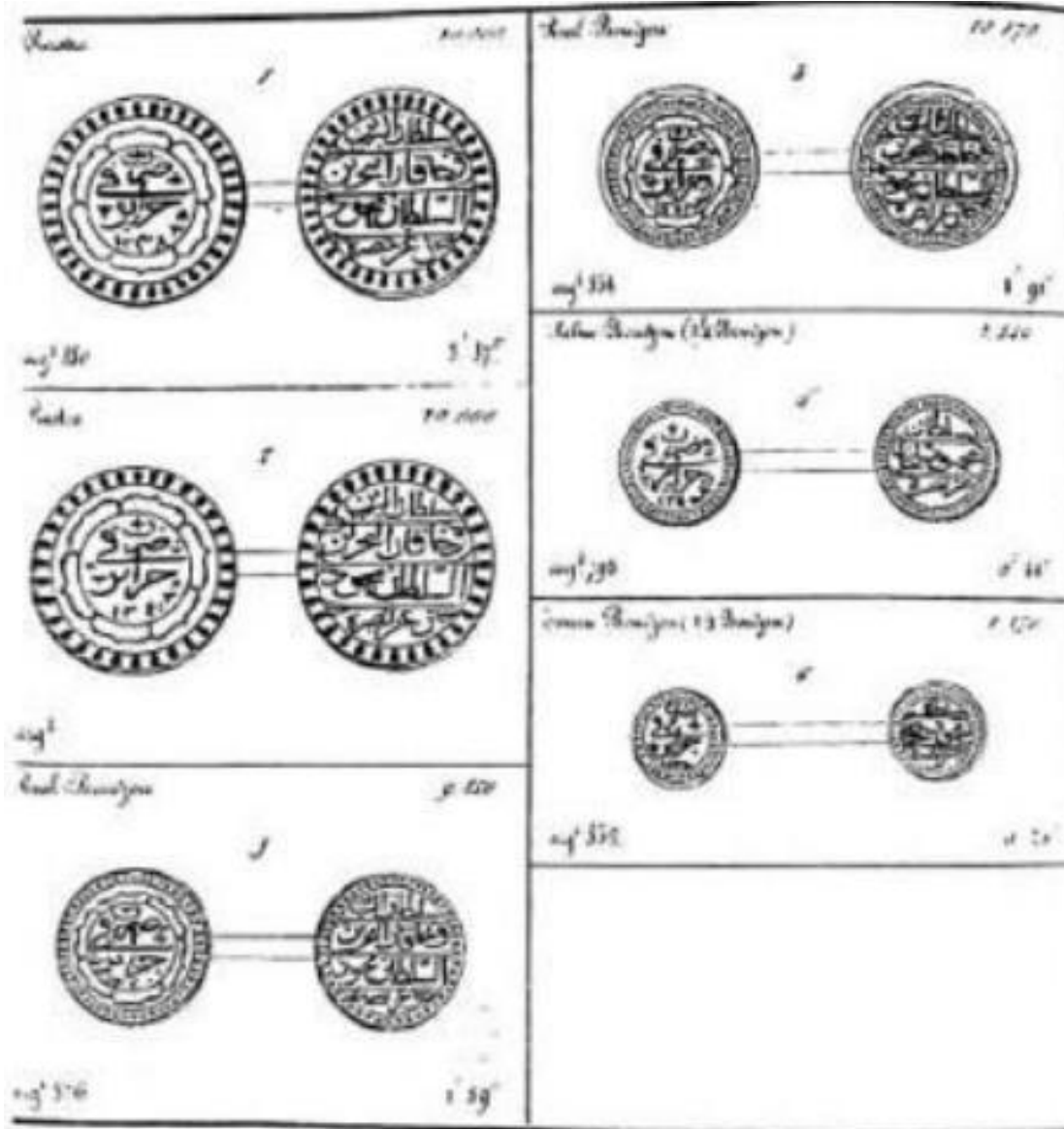
الملحق رقم : 10



خريطة توضح الطريق السلطاني الرابط بين قسطنطينية و دار السلطان و الأبراج التي بنيت عليها¹

¹ جميلة معاشي : الإنكشارية و المجتمع ، مرجع سابق ، ص 60.

الملحق رقم : 11



بعض العملات النقدية المستعملة في الأسواق القسطنطينية خلال العهد العثماني¹.

¹ نوية قرين : مرجع سابق ، ص 58.

الملحق رقم : 12



لباس الرجل الريفي القسنطيني¹

¹ جيبيري إيمان و بوياسي مريم : مرجع سابق ، ص 192.

الملحق رقم : 13



أجواء حفل الزفاف في بيت المرأة القسطنطينية خلال العهد العثماني¹.

¹ جبيرى إيمان و بوياسى إيمان : مرجع سابق ، ص 200.

قائمة

المصادر والمراجع

قائمة المصادر و المراجع :

القرآن الكريم

المصادر :

- بن العنتري محمد صالح: تاريخ قسنطينة، تح: يحي بوعزيز، ط: خاصة، عالم المعرفة، الجزائر، 2009.
- بن العنتري محمد صالح: مجاعات قسنطينة ، تح و تق : رابح بونار ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، دم ، 1974م .
- بن ميمون الجزائري محمد: التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية ، ط2 ، تق و تح : محمد بن عبد الكريم ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1981م .
- خوجة حمدان: المرأة ، تق و تح و تع : محمد العربي الزبيري ، دط ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، الجزائر ، 2006.
- سبنسر وليام : الجزائر في عهد رياس البحر ، تع : عبد القادر زيادة ، دار القصة للنشر ، الجزائر ، 2006 .
- شالر وليام : مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر 1816-1824 ، تع و تق : إسماعيل العربي ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1982م .
- شلوصر فنديلين: قسنطينة أيام أحمد باي ، تر : أبو العيد دودو ، وزارة الثقافة الجزائرية ، الجزائر ، 2007 .
- عبد الرحمان ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون ديوان المبتدأ و الخبر في تاريخ العرب و البربر و من عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر ، ج1 ، د.ط ، تح : عبد الله محمد الدرويش ، دار يعرب ، دمشق ، 2003م .

المعاجم :

- ابن منظور الإفريقي : لسان العرب ، ج13 ، ط3 ، دار صادر ، بيروت ، 1414هـ .
- ابن منظور الإفريقي : لسان العرب ، ج9 .
- الزبيدي محمد مرتضى : تاج العروس ، ج23 ، تح : عبد الفتاح الحلو ، مر : مصطفى حجازي ، مطبعة حكومة الكويت ، الكويت ، 1986م .
- الزبيدي محمد مرتضى : تاج العروس ، ج36 ، ط1 ، تح : عبد الكريم العريايي ، مر : ضاحي عبد القادر و خالد عبد الكريم جمعة ، مطبعة التراث العربي ، الكويت ، 2001 .
- مصطفى إبراهيم وآخرون : المعجم الوسيط ، ط4 ، مكتبة الشروق الدولية ، القاهرة ، 2004 .
- ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ط1 ، مج7 ، تص : محمد أمين الخانجي ، مطبعة السعادة ، مصر ، 1906 .

المراجع :

أولا : المراجع بالعربية

- احميدة عميرايي : دراسات في تاريخ الجزائر الحديث ، ط2 ، دار الهدى للطباعة و النشر و التوزيع ، الجزائر ، 2004 .
- بن شعيب المهدي : أم الحواضر في الماضي و الحاضر ، ط1 ، مطبعة البعث ، قسنطينة ، 1980 .
- بوحوش عمار : التاريخ السياسي للجزائر من البداية و لغاية 1962 ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، دم ، 1997 .

- بوعزيز يحي : الحالة الإجتماعية و الاقتصادية للمجتمع بالشرق الجزائري خلال العهد العثماني في القرن 19
- حلّمي عبد القادر ، مدينة الجزائر نشأتها و تطورها قبل 1830م ، دراسة في جغرافية المدن ، المطبعة العربية لدار الفكر الإسلامي ، الجزائر ، ط1 ، 1982م.
- دودو أبو العيد : الجزائر في مؤلفات الرحالة الألمان 1830 / 1855 ، الشركة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1989 .
- الزبيري محمد العربي : التجارة الخارجية للشرق الجزائري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر ، 1982 .
- سعد الله أبو القاسم: تاريخ الجزائر الثقافي (1500-1830) ، ج2 ، دار البصائر ، ط6 ، الجزائر ، 2009 .
- سعد الله أبو القاسم: تاريخ الجزائر الثقافي ، ج1 ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1998 .
- سعد الله أبو القاسم: تاريخ الجزائر الثقافي 1500-1830 ، ج1 ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1998م.
- سعيدوني ناصر الدين : الأوضاع الإقتصادية و الإجتماعية و الثقافية لولايات المغرب العثمانية الجزائر - تونس - طرابلس الغرب من القرن 16م إلى القرن 19م ، حوليات الأدب و العلوم الإجتماعية ، الحولية 31 ، قسم التاريخ ، جامعة الكويت ، 2010م .
- سعيدوني ناصر الدين : ولايات المغرب العثمانية الجزائر - تونس - طرابلس الغرب ، د.ط ، البصائر للنشر و التوزيع ، د.س.
- سعيدوني ناصر الدين و المهدي البوعبدلي : الجزائر في التاريخ العثماني ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1984 .

- سعيدوني ناصر الدين: دراسات و أبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني ، المؤسسة الوطنية للكتاب سعيدوني ناصر الدين: ورقات جزائرية دراسات و أبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني ، ط2 ، دار البصائر ، الجزائر ، 2009 .
- شويتام أرزقي : نهاية الحكم العثماني في الجزائر و عوامل إنهاره 1800-1830 ، دار الكتاب العربي ، ط1 ، الجزائر ، 2011 .
- طوبال نجوى : طائفة اليهود بمجتمع مدينة الجزائر 1700-1830م من خلال سجلات المحاكم الشرعية ، دار الشروق للطباعة و النشر و الديوان ، الجزائر ، 2008م .
- عباد صالح : الجزائر خلال الحكم التركي 1514/1830، دارهومة، 2012.
- عثمان محمد : صفحات من تاريخ و معالم قسنطينة ملكة الشرق الجزائري و مدينة الجسور المعلقة ، ط1 ، دار المصرية للكتاب ، مصر ، 2013 .
- عمورة عمار : موجز في تاريخ الجزائر ، ط1، دار ريحانة للنشر و التوزيع، الجزائر . 2002 .
- غربي كمال : المساجد والزوايا في قسنطينة الأثرية، د.ط، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، د.ب.ن ، د.ت.ن.
- غطاس عائشة و آخرون : الدولة الجزائرية الحديثة ، منشورات المركز الوطني للدراسات و البحث للحركة الوطنية و ثورة اول نوفمبر ، الجزائر ، د.ت .
- فارس محمد خير: تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الإحتلال الفرنسي، ط2، مكتبة دار الشرق، دمشق، 1979 .
- لعروق محمد الهادي و فيلالي عبد العزيز : مدينة قسنطينة دراسة التطور التاريخي و البيئة الطبيعية ، دراسات البعث و النشر للطباعة ، قسنطينة ، 1984 .
- لعروق محمد الهادي: مدينة قسنطينة، دراسة في جغرافية العمران، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984 .

- مريوش أحمد و آخرون : الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني ، د.ط ، دار القصة ، الجزائر ، 2007 .
- معاشي جميلة : الأسر المحلية الحاكمة في بايلك الشرق من القرن 10هـ (16م) إلى 13هـ (19م) ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 2014.
- المليي مبارك بن محمد الهلالي : تاريخ الجزائر في القديم و الحديث ، ج3 ، د.ط ، مكتبة النهضة الجزائرية ، الجزائر ، 1964 .

المذكرات :

- بلخوص الدراجي : جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية في بايلك قسنطينة من خلال نوازل بن الفكون خلال القرنين 16 و 17 م، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في التاريخ، جامعة الجزائر، الجزائر ، 2012 .
- بن عتو بلبروات: المدينة و الريف بالجزائر في أواخر العهد العثماني ، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث و المعاصر ، جامعة وهران ، وهران ، 2008/2007م.
- بوجلال نصيرة : البيوتات العلمية في قسنطينة ما بين القرنين 7 و 10 هـ / 13 و 16م ، مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الوسيط ، جامعة 08 ماي 1945 ، قالمة ، 2017/2016م.
- بوعزيز جهيدة : الصراعات الداخلية و أثرها على المجتمع الريفي ببيلك الشرق الجزائري في أواخر العهد العثماني ، (1771-1837) ، مذكرة لنيل شهادة ماجستير في التاريخ الحديث ، جامعة قسنطينة 2، الجزائر ، 2011/2010 .
- جبيري إيمان و بوياسي مريم : واقع الحياة الاجتماعية في بايلك الشرق في ظل حكومة الداوي حسين ، مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ العام ، جامعة 8 ماي 1945 ، قالمة ، 2016/2015 .

- جوبر الشيماء و نادية غضبان : المجتمع الريفي و علاقته بالحكم العثماني في الجزائر عهد الدايات 1671/1830م أنموذجا ، مذكرة لنيل شهادة الماستر في تاريخ الجزائر الحديث و المعاصر ، جامعة محمد بوضياف ، المسيلة ، 2016/2017 .
- خرزي راوية و آخرون : الحياة الثقافية في مدينة قسنطينة خلال العهد العثماني ، مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الحديث و المعاصر ، جامعة محمد بوضياف ، المسيلة ، 2014/2015 .
- دحدوح عبد القادر : مدينة قسنطينة خلال العهد العثماني ، دراسة عمرانية أثرية ، مذكرة لنيل شهادة دكتوراه علوم في الآثار الإسلامية معهد الآثار ، جامعة الجزائر ، 2009 / 2010 .
- دغموش كاميلية : قبائل الغرب الجزائري بين الاحتلال الإسباني و السلطة العثمانية 1509/1792 ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث ، جامعة وهران ، وهران ، 2013/2014 .
- سعودي يمينة : الحياة الأدبية في قسنطينة (خلال الفترة العثمانية) ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الأدب الجزائري القديم ، جامعة الإخوة منتوري ، قسنطينة ، 2005/2006 .
- شدري معمر رشيدة: العلماء و السلطة العثمانية في الجزائر ، مذكرة لنيل شهادة الماستر في تاريخ الجزائر الحديث ، جامعة الجزائر ، الجزائر ، 2005/2006 .
- شويتام أرزقي: المجتمع الجزائري و فعالياته ، مذكرة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث و المعاصر ، جامعة الجزائر ، الجزائر ، 2005/2006 م .
- صرهودة يوسف : معاملات و مبادلات إقتصادية في قسنطينة أواخر العهد العثماني : مذكرة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ الجزائر الحديث ، جامعة قسنطينة ، 2004/2005 .

- العياشي هواري : المسكن بمدينة قسنطينة خلال العهد العثماني -دراسة تاريخية أثرية ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التراث و الدراسات الأثرية ، جامعة منتوري ، قسنطينة ، 2011/2010 م .
- غفصي حسينة : المؤسسات الثقافية بمدينة قسنطينة خلال العهد العثماني 1535-1837م ، مذكرة لنيل شهادة الماستر في تاريخ الجزائر الحديث و العاصر ، جامعة محمد بوضياف المسيلة ، 2018/2017 .
- قرين نوية: النشاط التجاري في الريف و المدينة بالجزائر أواخر العهد العثماني ، مذكرة لنيل شهادة الماستر في تاريخ الجزائر الحديث ، جامعة المسيلة ، 2018/2019 م .
- القشاعي فلة مولودة موساوي : النظام الضريبي بالريف القسنطيني أواخر العهد العثماني 1771-1837 ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث ، جامعة الجزائر ، 1990-1989 .
- قمر السعدية: الأسر النافذة و دورها الثقافي و الاجتماعي ببابك الشرق الجزائري في العهد العثماني (1518-1830) أسرتي الفكون و المقراني أنموذجا ، مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الحديث و المعاصر ، جامعة محمد بوضياف المسيلة ، 2018-2017 م .
- معاشي جميلة : الإنكشارية و المجتمع ببابك قسنطينة في نهاية العهد العثماني ، مذكرة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث ، جامعة منتوري ، قسنطينة ، 2008/2007 .
- نجاة نوار : الإدارة المحلية في بابك قسنطينة 1520-1830 ، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في تاريخ الجزائر الحديث ، جامعة محمد بوضياف ، المسيلة ، 2019-2018 .

المقالات :

- سعيدوني ناصر الدين : وصف مدينة قسنطينة حسب معلومات جديدة للقبطان هيوليت ، مجلة الأصالة ، مطبعة البعث ، قسنطينة ، ع 59 ، 1971.
- غانم محمد الصغير : قسنطينة عبر تاريخها القديم ، مجلة العلوم الإنسانية ، عدد 12 ، جامعة منتوري ، 1999 .
- نواري خولة : نظرة حول المجتمع الحرفي والصناعي بمدينة قسنطينة، مجلة العبر للدراسات التاريخية والاثريّة، المجلد الثاني، العدد الأول، يناير ، 2019.

ثانيا : المراجع بالاجنبية :

- Musée national de l'arts et traditions populaires : la vie quotidienne.
- Pagand bernard : la medina de constantinede la cité traditionnel au centre de l'agglomération contemporaine , université de poitier , département de géographie , 1988 .
- Rinn L : le royaume d Alger sous le dernier dey, grand Alger livres éd. Alger 2005 .

فهرس

الموضوعات

الصفحة	الموضوع
	شكر و عرفان
	الإهداء
	قائمة المختصرات
أ-هـ	مقدمة
14	الفصل التمهيدي : لمحة عامة عن مدينة قسنطينة
14	تعريف المدينة و الريف
17	الإطار الجغرافي
19	الإطار التاريخي
25	الفصل الأول : مدينة قسنطينة خلال العهد العثماني
25	المبحث الأول : التركيبة السكانية لمجتمع مدينة قسنطينة
25	1البلدية
26	أ- العرب
26	ب- الأتراك العثمانيون
26	ج- الكراغلة
26	د- اليهود
27	2البرانية
27	أ- جماعة بني ميزاب
27	ب- جماعة البسكرة
27	ج- جماعة الجيجلية
28	د- جماعة الأغواطيون
29	المبحث الثاني : الحياة السياسية و الإقتصادية
29	أولا الحياة السياسية
29	التنظيم الإداري في المدينة
31	أهم البايات الذين توالو على حكم قسنطينة
32	- ثانيا الحياة الإقتصادية

32	التجارة (الداخلية و الخارجية)
34	الصناعة
37	المبحث الثالث : الحياة الإجتماعية و الثقافية في مدينة قسنطينة
37	أولا : الحياة الإجتماعية
37	النظام الإجتماعي في قسنطينة
38	الاعياد الدينية و الإحتفالات الشعبية
41	الموسيقى
41	اللباس
42	الأوضاع الصحية
43	ثانيا : الحياة الثقافية
43	المؤسسات الثقافية بقسنطينة
43	أ- المساجد
46	ب- الزوايا
48	ج- المدارس
51	د- المكتبات
51	الأوقاف في مدينة قسنطينة
53	المبحث الرابع : العمران في مدينة قسنطينة
53	الأحياء السكنية بقسنطينة
54	المساكن
56	المراكز الثقافية
56	المنشآت العمومية
59	الفصل الثاني : الريف القسنطيني خلال العهد العثماني
59	المبحث الأول التركيبة السكانية للريف القسنطيني
60	تقسيم البايلك على حسب القبائل
62	قبائل المخزن
63	قبائل الرعية

65	القبائل المتحالفة
65	القبائل الممتنعة
68	المبحث الثاني : الحياة السياسية و الإقتصادية في الريف القسنطيني
68	أولا : الحياة السياسية
68	السياسة العثمانية تجاه القبائل الريفية
70	التنظيم الإداري في الريف القسنطيني
73	المحلة
75	- ثانيا : الحياة الإقتصادية
75	الزراعة
78	الملكيات الزراعية
80	الرعي و تربية الحيوانات
82	المهن و الصناعات التقليدية
84	التبادل التجاري
85	الضرائب
89	المبحث الثالث : الحياة الإجتماعية و الثقافية
89	أولا : الحياة الإجتماعية
89	الأحوال الصحية
92	اللباس
93	العادات و التقاليد المتوارثة في الريف القسنطيني
96	ثانيا : الحياة الثقافية
96	التعليم
98	المراكز العلمية
100	المبحث الرابع : الأشكال العمرانية بالريف القسنطيني
	خاتمة
	الملاحق
	قائمة المصادر و المراجع

ملخص المذكرة :

أولا : باللغة العربية

لقد تأثر إقليم قسنطينة كغيره من الأقاليم الجزائرية خلال العهد العثماني و لقد كانت الحياة العامة بهذا الإقليم مختلفة بين ريفه و مدينته ، فالمدينة اشتهرت بها الحضارة و الثقافة ، و راجت تجارتها ، و يرجع السبب إلى موقعها الإستراتيجي المميز ، أما عن ريف قسنطينة فقد برز في الجانب الزراعي لإحتوائه على كم هائل من الأراضي الخصبة الشاسعة ، و كان لكل منهما - أي المدينة و الريف - تقاليده و إحتقالاته و طريقة عيشه الخاصة . لكن رغم التكامل الكبير الذي كان بينهما ، إلا أنه كان هناك فرق شاسع بينهما من خلال المستوى المعيشي و علاقة السلطة مع كل منهما .

ثانيا : باللغة الإنجليزية

During the Ottoman era, the region of Constantine was influenced as the others regions of Algeria; the life in this region was different between its city and countryside, in one hand the city was famous by the culture, civilization and the wide trade this is due of the special strategic location. Whereas the countryside was known by the agriculture since it contained a huge amount of fertile lands. Both of them*the city and the countryside* had its own traditions, celebrities and life style. but despite the great integration between them there was a big difference in the living standards and the power relationships with each of them.

